في ظل التنزيل

دكتوره/ لولوه بنت عبد الله القضيبي

دار القاسم للنشر
الرياض ١١٤٤٢ ص.ب ٦٣٧٣
ت/ ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس/ ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

القضيبي ، لولوة عبدالله

في ظل التنزيل./ لولوة عبدالله القضيبي. - الرياض، ١٤٢٦هـ

١٤٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٦ - ٨١ - ٧٣٠ - ٩٩٦٠

١- القرآن - مباحث عامّة أ. العنوان.

ديوي ٢٢٩ ٥٣٦٨ / ١٤٢٦

رقم الإيداع : ٥٣٦٨ / ١٤٢٦
ردمك : ٦ - ٨١ - ٧٣٠ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

العنوان : الرياض - طريق الملك فهد جنوب شارع التليفزيون
للمراسلات «الرمز البريدي ١١٤٤٢ - ص. ب ٦٣٧٣
الرياض هاتف ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس ٤٠٣٣١٥٠
فرع جدة هاتف ٦٠٢٠٠٠٠ فاكس ٦٣٣٣١٩١
فرع بريدة هاتف ٣٢٦٢٨٨٨ فاكس ٣٦٩٢٨٨٨
فرع الدمام هاتف ٨٤٣١٠٠٠ فاكس ٨٤١٣٠١١
■ البريد الإلكتروني sales@dar-alqassem.com
■ موقعنا على الإنترنت www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن أشرف العلوم علوم القرآن الكريم، لأنّه اختص بأشرف الكتب السماوية، فكلما بعدنا عنه كلما ازداد تعلقنا بهذه الدنيا الفانية، لذا كان لزاماً على الجميع أن يلزموا كتاب الله قراءة وتعلماً وعملاً.

ينهلون من مورده العذب دون كلل، فينالوا السعادتين.

وهذا البحث الموسوم [في ظل التنزيل] هو جهد متواضع استنرت فيه بأقوال المفسرين لكتاب الله بالمأثور وبالرأي المحمود. ثم سلطت الضوء على واقعنا المعاصر حول بعض التصرفات الخاطئة مثل: احتقار العمل اليدوي، وسماع الغناء، والتفريط بالأمانة، ونزع جلباب الحياء من بعضهن، وتنازل بعض الرجال عن شرف القوامة، وغيره كثير في ثنايا هذا البحث الذي أسأل الله أن يقبله خالصاً لوجهه الكريم.

والتساؤل الكبير، هل طبقنا ما جاء في كتابنا أم أننا نقرأ القرآن ولا نفقه تعاليمه وأوامره؟.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دكتوره/ لولوه بنت عبد الله القضيبي

شكر وتقدير

لقد شرف بالاطلاع على هذا البحث وقراءته :
الدكتور/ ناصر بن سليمان العمر .
فجزاه الله خيراً ورزقه الإخلاص في القول والعمل .

* * *

تقريظ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ـ وبعد:

فقد اطلعت على المقالات التي كتبتها الأخت الكريمة د/ لولوة بنت عبد الله القضيبي، والتي جعلت عنوانها (في ظل التنزيل) فألفيتها جيدة في مادتها، موفقة في استنباطاتها، واضحة في دلالاتها، ربطت الواقع بالقرآن، وفسرت الآيات في ضوء منهج السلف، معتمدة على أقوال أئمة التفسير والبيان.

وهي تعالج قضايا معاصرة بأسلوب جميل، جمع بين الأصالة والسلاسة.

ونحن بأمس الحاجة إلى ربط الأمة بكتاب ربها وسنة نبيها ليتحقق لها النجاح والفلاح، انطلاقاً من قوله ـ ﷺ ـ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي»** [رواه مالك مرسلاً والحاكم مسنداً وصححه وحسن الألباني في منزلة السنة إسناده].

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ـ كما قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ.

وآمل من الأخت الكريمة الاستمرار في هذا النهج، والمزيد من الوقفات مع كتاب الله ـ جل وعلا ـ وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين..

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢/ ٧/ ١٤٢٥هـ.

القوامة أمانة

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

الوقفة الأولىٰ: مناسبة الآية لما قبلها:

مستأنفة مشتملة علىٰ سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلاً، إثر بيان تفاوت استحقاقهم إجمالاً.

إن هذه الآية من سورة النساء تمثل أسساً وقواعد لبناء الأسرة المسلمة بناءً قوياً وسليماً.

الوقفة الثانية: المعنىٰ الإجمالي:

يقول **ابن كثير** ـ رحمه الله ـ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أي الرجل قيّم علىٰ المرأة، وهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت أهـ.

وقد نبه ابن جرير ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية لأمر مهم فقال: (الرجال أهل قيام علىٰ نسائهم في تأديبهن والأخذ علىٰ أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهن) أهـ.

والقوامة الحق علىٰ النساء تكون بإلزامهن بحقوق الله تعالىٰ. من المحافظة علىٰ فرائضه، وكفهن عن المفاسد. وأن عليها طاعته وقبول أمره ما لم تكن معصية.

يقول ـ تعالىٰ ـ: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ لقد خص الرجل بالقوامة علىٰ المرأة وعلل ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ذلك بأمرين:

أحدهما: وهبي، والآخر، كسبي؛ فالله يقول: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فإن تفضيل الرجال علىٰ النساء من وجوه متعددة؛ من كون النبوة والرسالة مختصة بهم وكذلك الولايات، والإمامة ووجوب الجهاد والجمع والجماعات، وإليهم الانتساب. وبما خصهم الله من العقل والصبر والرزانة ما ليس للنساء مثله. والأمر الكسبي يتمثل في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي بسبب إنفاقهم من أموالهم عليهن وكفايتهم إياهن مؤنتهن.

الوقفة الثالثة: لطائف التفسير:

أولاً: ﴿الرِّجَالُ﴾ الرجال جمع رجل، فهو اسم لذكور بني آدم بعد البلوغ. وقيل إنه اسم مأخوذ من القوة، وذكر بعض المفسرين أن كلمة (الرجال) وردت في القرآن علىٰ عشرة أوجه:

١ ـ الرسل: ومنه قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩].

٢ ـ الصابرون من أصحاب النبي ﷺ في الغزوات: ومنه قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٣ ـ أهل قباء: ومنه قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨].

٤ ـ المحافظون على أوقات الصلاة: ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٥ ـ المقهورون من مؤمني أهل مكة: ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ [الفتح: ٢٥].

٦ ـ فقراء المسلمين: ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ (٦٢)﴾ [ص].

٧ ـ المشاة: ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

٨ ـ الأزواج: ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

٩ ـ الذكور: ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

١٠ ـ الكفار: ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُم﴾ [الأعراف: ٤٨].

ثانياً: ﴿قَوَّامُونَ﴾: القوام بالفتح العدل. و (قوام الرجل) قامته وحسن طوله. و(قوام الأمر) بالكسر نظامه وعماده. يقال فلان (قوام أهل بيته) و(قيام) أهل بيته، وهو الذي يقيم شأنه.

وقوام صيغة مبالغة من القيام على الأمر، بمعنى حفظه ورعايته. وفي إيراد الجملة الاسمية والخبر على صيغة المبالغة للإيذان

بعراقتهم في الاتصاف بما أسند إليهم، ورسوخهم فيه. أي شأنهم القيام عليهن بالأمر والنهي والتدبير والتأديب، وعليهم أيضاً كاملاً المسؤولية في الحفظ والرعاية والصيانة، فالرجل قوام على امرأته كما يقوم الوالي على رعيته.

واقعنا المعاصر: إن ما نراه اليوم ونسمعه فهو واقع أليم وينذر بخطر جسيم؛ فبعض الرجال قد تنازل عن هذه القوامة التي شرفه الله بها، وسلم الراية للمرأة التي بدأت تمارس هذا الحق - كما تزعم - بكل قوة وجبروت.

وإلا فما سر تلك التصرفات البعيدة عن شرع الله لبعض النساء؟ فخروجها مع السائق بدون محرم للأسواق وهي بكامل زينتها متعطرة تجادل البائع وتزين له الكلام نازعة لرداء الحياء وبماذا نفسر تحكمها بحفلات الزواج التي تحوي المنكرات والمخالفات الشرعية؟ وكذلك التبذير في المآكل والمشرب والملبس من المسؤول عنه؟ وها هي مرّة تحدد مكان وزمان السفر للخارج متبرجة، ألا تعلم أنها بذلك التصرف تفقد شخصيتها وتبتعد عنه عقيدتها وأخلاقها، فتذوب هويتها وتستسلم بكل ذل للثقافة والحضارة الغربية؟.

لكننا نقول لكلّ رجل قوّام على أسرته أن يسعد بهذا الشرف ويحافظ عليه وليعلم أن القوامة ليست تسلطاً، ولكنها تكليف من رب العالمين، العالم بمصالح عباده. فاحرص عليها واحتسب في

ذلك فسوف يعينك الله .

ثم إنّ على المرأة دوراً كبيراً في تربية أولادها ـ أقصد الذكور ـ منذ الصغر على معنى القوامة ومفهومها الصحيح ، كذلك تربي ابنتها على قبول قوامة الرجل عليها ، وأن ذلك حق من حقوقه ، قد منحه الله إياه ، وأن قبولها من حسن التبعل وهي مأجورة على ذلك ، وعليها ألا تتسخط وتعترض على حكم الله : وألا تسمع لكل ناعق من دعاة تحرير المرأة ـ كما يزعمون ـ كذلك على الوالدين أن يطبقا عملياً معنى القوامة وقبولها حتى يكون هناك تلازماً بين التربية والتطبيق .

بين القانتات والنشازات!

يقول الله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء] .

جاءت هذه الآية بعد بيان واجب الرجل وحقه والتزاماته وتكليفه بحق القوامة لتفصِّل أحوال النساء وتبين كيفية القيام عليهن بحسب أحوالهن .

تحليل الآيات:

قوله ـ تعالىٰ ـ ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ .

القنوت في اللغة: هو مصدر مأخوذ من مادة (قنت) التي تدل علىٰ طاعة وخير في دين .

وقال **ابن منظور** : القنوت دوام الطاعة ، وقيل : الدعاء في الصلاة .

والقنوت: الخشوع والإقرار بالعبودية .

وقيل : إطالة القيام ، ويقال للمصلي : قانت .

ويرد القنوت بمعان متعددة فيصرف في كل واحد من هذه المعاني

إلىٰ ما يحتمله اللفظ الوارد فيه وذكر ابن الأنباري أن القنوت يأتي علىٰ معانٍ عديدة.

منها: الصلاة طول القيام كقوله ـ تعالىٰ ـ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ...﴾ [الزمر: ٩].

ومنها إقامة الطاعة: كقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ وقوله ـ تعالىٰ ـ مخاطباً زوجات النبي ﷺ ـ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)﴾ [الأحزاب].

ومنها السكوت: كقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)﴾ [البقرة]. وفي قوله ـ تعالىٰ ـ ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ إن من طبيعة المرأة الصالحة ومن صفاتها الملازمة لها بحكم إيمانها أن تكون قانتة أي مطيعة لله، قائمة بما يجب عليها من حقوق، الله وحقوق زوجها، وطاعتها لزوجها عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة فلفظ ﴿قَانِتَاتٌ﴾ له مدلول نفسي غير مدلول طائعات. قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي بما يجب حفظه عند غيبة الزوج من حفظ النفس والمال، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك، وإن غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها**» فهذه الزوجة بحكم إيمانها تكون حافظة لحرمة الزوجية، ولهذا الرباط المتين بحفظ الله لها ومعونتها وتسديده لها وأمرها بحفظ الغيب والحث عليه والتوفيق له.

والتعبير في قوله: ﴿حَافِظَاتٌ﴾ يؤكد أنه من مقتضى صلاحهن ولم يأت بصيغة الأمر.

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ الخوف: حالة تحصل للقلب عند حدوث مكروه، أو عند الظن أو العلم بحدوثه، قال ابن جرير: (اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ فقال بعضهم: معناه: واللاتي تعلمون نشوزهن.

ووجه صرف الخوف في هذا الموضع إلى العلم في قول (هؤلاء) نظير صرف الظن إلى العلم لتقارب معنييهما، إذا كان الظن شكاً، وكان الخوف مقروناً برجاء، وكانا جميعاً من فعل المرء بقلبه.

وقال جماعةٌ من أهل التأويل: معنى الخوف في هذا الموضع الخوف الذي هو خلاف الرجاء.

قالوا: معنى ذلك: إذا رأيتم منهن ما تخافون أن ينشزن عليكم من نظر إلى مالا ينبغي لهن أن ينظرن إليه، ويدخلن ويخرجن، واستربتم بأمرهن، فعظوهن واهجروهن) أهـ.

النشوز في اللغة: المكان المرتفع من الأرض، وفي هذه الآية يقصد: استعلاء المرأة وارتفاعها عن طاعة زوجها بأن تعصيه بالقول والفعل، والخلاف عليه فيما لزم طاعته فيه بغضاً منها وإعراضاً.

والمنهج الإسلامي لا ينتظر حتى يقع النشوز بالفعل وتسقط مهابة القوامة، وتنقسم الأسرة وتفترق، وإنما يحرص على المبادرة في

علاج مباديء النشوز كإجراء وقائي بالمبادرة إلىٰ إصلاح النفوس.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾:

الخطاب للأزواج باعتبار أن لهم القوامة، فعلىٰ الرجل الحرص علىٰ وعظ زوجته وإرشادها بكل هدوء وروية، بأن يذكرها بما يجب عليها من الطاعة، وحسن العشرة، وترغيبها بما عند الله، وترهيبها إن هي أصرت علىٰ النشوز.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾:

يقال: هجره أي تباعد منه، والمراد بهذه الآية أن يوليها ظهره ولا يجامعها، يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: والمضجع موضع الإغراء والجاذبية، التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها. فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء والجاذبية، فقد أسقط من يد المرأة أمضىٰ أسلحتها التي تعتزّ بها وكانت ـ في الغالب ـ أميل إلىٰ التراجع والملاينة أمام هذا المقصود من رجلها، علىٰ أنّ هناك أدباً معيناً في هذا الإجراء، إجراء الهجر في المضاجع، وهو ألا يكون هجراً ظاهراً في غير مكان خلوة الزوجين، لا يكون هجراً أمام الأطفال يورث نفوسهم شراً وفساداً.

ولا هجر أمام الغرباء يذل الزوجة أو يستثير كرامتها فتزداد نشوزاً، فالمقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة، ولا إفساد

الأطفال، وكلا الهدفين يبدو أنه مقصود من هذا الإجراء.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾:

الضرب المقصود يكون ضرباً تأديبياً مصحوباً بعاطفة المؤدب المربي، لا ضرب إهانة وإذلال، ولا يكون تعذيباً للانتقام والتشفي، وقد قال الفقهاء: ألا يكسر لها عظماً، ولا يؤثر فيها شيئاً. كمال قال ـ ﷺ ـ في حجة الوداع: **«واتقوا الله في النساء، فإنّهن عندكم عوان، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»** وفي حديث آخر قيل: يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا؟ قال: **«تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتست، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»** وقد روىٰ ابن جرير بسنده عن عطاء قال: قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك ونحوه.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ أي إذا حصل المقصود بواحدة من الوسائل السابقة وأطعنكم فلا تتعرضوا لهن بشيء مما يكرهن لا بقول ولا بفعل، كالتوبيخ والأذىٰ، واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له؛ لأن الغاية تحققت وهي الطاعة، وتشير الآية إلىٰ أنّ المضي في الإجراءات بعد تحقق الطاعة نوعٌ من البغي والظلم للمرأة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾. إشارة إلىٰ الأزواج بخفض الجناح ولين الجانب، أي إذا كنتم تقدرون عليهن فاذكروا قدرة الله عليكم، فإنها فوق كل

قدرة، والله بالمرصاد لكم فاحذروه، وفي هذه الآية تحذير للرجال إذا بغوا على نسائهم من غير سبب، فإنّ الله العلي الكبير هو وليهن ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن. وهذا التعقيب بعد النهي المذكور يؤكد طريقة القرآن في الترغيب والترهيب.

قوله ـ تعالى ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ الخوف هنا بمعنى العلم واليقين. والشقاق: مشاقة كل واحد منهما صاحبه، وهو إتيان ما يشق عليه من الأمور، فأما الشقاق من المرأة فالنشوز وتركها أداء حق الله الذي ألزمها الله لزوجها. وأمّا من الزوج فتركه إمساكها بالمعروف، أو تسريحها بإحسان.

قوله ـ تعالى ـ ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾. للحكم صفات تؤهله أن يكون حكماً وهي: أن يكون مسلماً عاقلاً عدلاً، وأن يكون من أهل الزوجين؛ لأنهما أعرف بأحوالهما، وأن يعرفا أن واجبهما السعي في إصلاح ذات البين، وأنهما مؤمتنان على أسرار الزوجين، وليس غرضهما التشهير، إذ لا مصلحة لهما في ذلك، ثم إن عليهما أن يحكما بهدوء بعيداً عن الانفعالات النفسية.

قوله ـ تعالى ـ ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ اختلف العلماء في عودة الضمير في قوله: ﴿إِن يُرِيدَا﴾ وقوله ﴿بَيْنَهُمَا﴾ هل هي للزوجين وإن لم يجر ذكرٌ لهما لوجود القرينة فيكون المعنى: أنهما

إذا أرادا الإصلاح يوقع الله الموافقة والألفة بينهما، أو أن الضمير يعود للحكمين فيكون المعنى: أنهما إذا أخلصا النية لصلاح الحال بين الزوجين وكانت قلوبهما ناصحة بارك الله في وساطتهما ووفقهما لإيجاد الحلول المناسبة وهيأ لهما الزوجين في قبول هذه الحلول وهذا ما ذكره ابن جرير.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ فيه مزيد من ترغيب للحكمين، وتحذير عن التساهل، لكي لا يتسبب اختلال الأمر إلى عدم إرداتهما، ومن ثمّ اتساع شقّة الخلاف، ثم إنّ الآية لم تتعرض لذكر عدم إرادتهما الإصلاح؛ لأن ذلك مما ينبغي أن يصدر عن الزوجين، وأن الذي يليق بشأنهما ويتوقع منهما هو إرادة الإصلاح وليس العكس، وفيه إرشاد من الله ـ تعالى ـ للحكمين إلى أنه ينبغي ألا يدخرا وسعاً في الإصلاح، فإن في التفريق خراباً للبيوت، وفي التوفيق الألفة، والمودة، والرحمة، وغرض الإسلام جمع القلوب عل المحبة والوئام.

بيّنت الآية الكريمة الخطوات السليمة لمعالجة نشوز المرأة، ووضحت طرق العلاج، وبدأت به الأسهل فالأسهل، وقد ذكر بعض العلماء أنّ العقوبات الواردة في الآية مشروعة على الترتيب، وهذا ما يدل عليه ظاهر الآية كما يلي:

١ ـ النصح والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾.

٢ ـ الهجر أي البعد عنها في المضجع وترك جماعها، وليس الهجر في المأكل والمشرب والكلام لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾.

٣ ـ الضرب غير المبرح استجابة لقوله ـ تعالىٰ ـ ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾.

٤ ـ إذا لم تنجح كل هذه الوسائل فينبغي التحكيم لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ولكن أعداء الإسلام فهموا من هذه الآية أن في الضرب إهانة للمرأة وتعذيباً لها وخدشاً لكرامتها.

ونقول لهؤلاء وأمثالهم ممن أعجب برأي أعداء الإسلام: نعم لقد ذكرت الآية وصرحت بضرب المرأة. ولكن متي؟ ولم يكون الضرب؟.

لقد أرشدنا القرآن الكريم، ووضحت السنة النبوية أنّ ضرب المرأة يحتاج إليه عند الضرورة وللإصلاح، فإذا تطاولت المرأة علىٰ زوجها، وأساءت العشرة معه، وأصبح كيان الأسرة مهدداً، واستخدم معها الوعظ ثم الهجر فلم تنفع الوسيلتان فإنه والحالة تلك يلجأ إلىٰ الوسيلة الثالثة والتي أرشده لها العالم بمايصلح النفوس، فيضربها ضربَ مؤدبٍ رفيقٍ لا ضرب إهانة وانتقام فهي شريكة حياته وحبيبته لا عدوته.

مع داود السراد ـ عليه السلام ـ

يقول ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)﴾ [سبأ].

أشارت الآيات التي تسبق هاتين الآيتين إلىٰ تذكير المكذبين وعرضت لهم مشهداً كونياً يثير انتباههم ويوقظ غفلتهم وأن ذلك آية لمن يتوب ويرجع إلىٰ الله، وفي هاتين الآيتين ما يؤكد ذلك، فإن داود ـ عليه السلام ـ لحسن إنابته، وصحة توبته أعطاه الله الفضل الكثير.

تحليل الآيات:

قوله ـ تعالىٰ ـ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً﴾ أي أعطيناه بسبب إنابته فضلاً منا، وقد اختلف العلماء في المراد بذلك علىٰ أقوال منها النبوة أو الزبور، أو العلم أو القوة كما في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]، وقيل: هو إلانة الحديد أو حسن الصوت أو ما ذكر في هذه الآية و الأولىٰ ـ والله أعلم ـ أن يراد بهذا الفضل ما يعم كل ما أعطاه الله ـ عز وجل ـ لعبده داود من النعم الدينية والدنيوية، والتي ذكر بعضها في هذه الآية وبعضها الآخر في مواضع متعددة من القرآن.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ هذا القول معمول لمحذوف تقديره نادينا أو قلنا وقوله: ﴿أَوِّبِي﴾ أي رجّعي مسبّحة معه، قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي جعلناه ليناً في نفسه كالطين المبلول يصرفه كيفما يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ ﴿سَابِغَاتٍ﴾ صفة لموصوف محذوف وهي الدروع والسابغ هو الكامل، والسابغة: الدروع الواسعة، والمعنىٰ: ألهمناه وعهدنا إليه عمل الدروع التامة الواسعة الضافية فكان ـ عليه السلام ـ هو أول من قام بعملها وكانت قبله صفائح ثقيلة.

قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ السرد: نسج الدروع يقال: درع مسرودة، وسردها أي نسجها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض، وقيل السرد: الثقب.

وهو اسم جامع للدروع وسائر الحلق وما أشبهها من عمل الخلق. وسمي بذلك لأنه يسرد فيثقب طرف كل حلقة بالمسمار، ومنه قيل لصانع الدروع السراد أو الزراد، والمعنىٰ قدر المسامير في حلق الدروع، فلا تجعلها غليظة فتفصم الحلقة، و لا دقيقة فينخلع أو تقلقل في الحلقة، فلذلك أمر بالتقدير فيما يجمع بين الخفة والحصانة، أي قدر ما تأخذ من هذين المعنيين بقسطه، أي لا تقصد

الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هذا خطاب لداود ـ عليه السلام ـ ولأهله كما قال تعالىٰ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وقفات: الوقفة الأولى:

اختلف العلماء: هل تسبيح الجبال والطير مع داود ـ عليه السلام ـ بلسان المقال أم بلسان الحال؟ فالقول الأول للجمهور لأن التأويب عند العرب الرجوع، والمعنىٰ أنها ترجع التسبيح بحمد ربها مجاوبة له.

والرأي الآخر أن التسبيح بلسان الحال أي أن الله أمر الجبال والطير أن تسير معه النهار كله.

والراجح والله أعلم: قول الجمهور بدلالة منطوق الآية وهو الظاهر المتبادر من النص، فقد كان التسبيح من الجبال والطير معجزة لداود ـ عليه السلام ـ علىٰ صدق نبوته كما جاء في قوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص].

الوقفة الثانية:

دعوة الإسلام إلىٰ العمل وتكريم العاملين: إن كل جهد مشروع نافع مقترن بالتوكل علىٰ الله، سواء كان مادياً أو معنوياً أو مؤلفاً بينهما يعتبره الإسلام عملاً، ويعده الوسيلة الأولىٰ لطلب الرزق،

والدعامة الأساسية للإنتاج فعلى قدر عمل المسلم واتساع دائرة عمله مع اعتماده على ربه يكون نفعه وجزاؤه. فالعمل مهم في إصلاح الأرض وتعميرها وفي تكوين الأموال وتنميتها، قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك].

الوقفة الثالثة:

واقعنا المعاصر: ولئن كان الإسلام ينظر إلى العمل هذه النظرة المشرفة التي تمتليء إجلالاً ويدعو المسلمين إلى احتراف العمل الحلال أياً كان حسبما تسمح مواهبهم، فلقد بقيت آثار من الجاهلية أمداً بعيداً بعد مجيء الإسلام، منها أننا لا نزال نرى هذه الأيام من يعير مسلماً ويحتقره لأنه راع أو نجار أو محترف لأي عمل يدوي. فأين هم من تعليمات الإسلام ومن هدي رسول البشرية الذي شجع على العمل اليدوي فقال - ﷺ: **«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»** [أخرجه البخاري].

ولقد كان الرسول ﷺ يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط قال ﷺ: **«ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم»** فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: **«نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»**. ففيه إيحاء شديد بأن العمل الشريف ولو كان رعياً للغنم ليس بالأمر المهين.

يقول **القرطبي**: (وفي هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم، إذا يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخالي عن الامتنان).

تقي مصارع السوء
الصدقة شرط قبولها الإخلاص

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) ﴾ [البقرة].

مناسبة الآيات لما قبلها:

تقدم في الآية التي قبلها الدعوة إلىٰ الإنفاق في سبيل الله علىٰ العموم وبيان ماله من ثواب مضاعف عند الله ـ تعالىٰ ـ، وبينت هذه الآيات أن ذلك الحكم إنما هو لمن لا يتبع إنفاقه مناً ولا أذىٰ.

تحليل الآيات:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى ﴾.

المن هو: القطع، وقيل: النقص ومنه قوله: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين: ٦].

وفي الاصطلاح: هو ذكر النعمة علىٰ معنىٰ التعديد والتقريع

بها، وقيل: إنه التحدث بما أعطىٰ حتىٰ يبلغ ذلك المعطي فيؤذيه. قال النبي ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منة، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره»** [رواه مسلم].

والأذىٰ هو السب والتطاول علىٰ المنفق عليه بالقول أو بالفعل، ولذا فهو أعم من المن، وإنما نص علىٰ المن وقُدِّم علىٰ ما بعده مع اندراجه فيه لكثرة وقوعه من المتصدقين، وفي توسط ﴿لا﴾ بينهما دلالة علىٰ شمول النفي لكل منهما.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ظاهره نفي الخوف عنهم في الدارين لما تفيده النكرة الواقعة في سياق النفي من الشمول، وكذلك دوام انتفاء الحزن عنهم، فقد حصل لهم المحبوب واندفع عنهم المكروه.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ القول المعروف: الإحسان القولي الذي تقبله القلوب ولا تنكره، ويُردُّ به السائل من غير إعطائه شيئاً، وفيه سرور المسلم كالدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله والاعتذار من السائل إذا لم يوافق عنده شيئاً.

والمغفرة: الستر للخلة وسوء حالة المحتاج والعفو عن السائل إذا صدر منه إلحاح في المسألة وغيره مما يثقل علىٰ المسؤول.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ

وَالأَذَىٰ﴾، أقبل عليهم بالخطاب إثر ما بيّن بطريق الغيبة مبالغة في إيجاب العمل بموجب النهي، وإبطال الصدقات إذهاب أثرها وإفساد منفعتها وإحباط أجرها بتعريضها للمن والأذىٰ.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، هذا تشبيه مركب، حيث شبهت هيئة المنافق المرائي بهيئة الحجر الأملس الواقع عليه شيء من التراب ثم أصابه مطر شديد فأزال التراب وترك الحجر صلداً أجرد لا تراب عليه، وهكذا شأن المرائي، فأعماله تذهب وتضمحل عند الله. فالمن والأذىٰ يكشفان عن عدم إخلاص النية لله، فتبطل الصدقة، ولا يجد ثمرة في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الجنة هي البستان، وهي قطعة من الأرض تنبت فيها الأشجار حتىٰ تغطيها، وهي مأخوذة من ربا يربو إذا زاد، وهو المكان المرتفع ارتفاعاً يسيراً ومعه في الأغلب كثافة تراب، وخصت بالذكر لأن نباتها يكون أحسن من غيره، فقد شبه ـ سبحانه ـ المنفقين طلباً لمرضاته ببستان ذي أشجار كثيفة علىٰ ربوة قد أصابه مطر شديد، فأعطىٰ صاحبه ثماراً مضاعفة، وإن أصابه طل جاد أيضاً لجودته وخصب أرضه.

كذلك المؤمن المخلص ينفق قدر سعته، فخيره دائم وبره لا

ينقطع، ونفقته زاكية عند الله، لاتضيع، وإن كانت تتفاوت فبحسب ما يقترن بها من إخلاص.

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تأكيد منه ـ سبحانه ـ لمدح هذه الربوة بأنه إذا لم يصبها المطر الشديد فإن الطل وهو المطر الخفيف يكفيها في إخراج الثمرة ضعفين؛ وذلك لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها.

وقفات: الوقفة الأولى:

صدقة التطوع منزلتها عالية في الدين وميدانها واسع جداً حسب إمكانية المسلم المالية وحبه للخير، وقد رفع الإسلام من شأنها ورغب في أدائها كما في الآية السابقة، وقد روىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«مامن يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً».**

[رواه البخاري ومسلم].

ولقد كانت صدقات التطوع وستبقىٰ ـ بإذن الله ـ تؤدىٰ دورها الكبير في مساعدة الفقراء والمحتاجين في المجتمع الإسلامي.

الوقفة الثانية:

يعتبر الإخلاص من أهم شروط قبول الصدقة: فإن المسلم إذا التزم بشريعة الله فإن ذلك يقتضي منه إخلاص مقاصد أعماله من شوائب الشرك والنفاق ويجعل وجه الله مبتغاه في كل حركاته، وقد

مدح الله من أنفق ماله ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ لا ليرائي ويستعلىٰ علىٰ المسلمين فقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾ [الليل] نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق الذي كان علىٰ جانب كبير من الإخلاص في عبوديته للخالق، حتي لقد طوع نفسه وماله وكل ما يملك للعمل الذي يرضي الله ورسوله، فكان بذلك أهلاً للمدح والثناء في وحي الله إلىٰ يوم الدين.

الوقفة الثالثة:

أساس قبول الصدقة والإثابة عليها أن تكون من حلال، فعلىٰ المؤمن أن يبتعد عن الموارد المحرمة كالسرقة والربا والغش والرشوة وبيع المحرمات وكل سبب غير مشروع لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)﴾ [البقرة].

الوقفة الرابعة:

إن امتناع بعض الناس عن الإنفاق أو أنهم يتصدقون بالردئ من أموالهم ينشأ عن دوافع القلق والخوف من الإملاق وعن تزعزع الثقة بما عند الله. وإن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يكشف للمؤمنين أن منشأ ذلك هو الشيطان، فيقول سبحانه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)﴾ [البقرة].

فالشيطان هو الذي يخوف من الفقر ويثير في النفوس الحرص والتكالب على الأموال لكن الله يعد المؤمنين المغفرة والجزاء في الجنة .

أيها الإنسان.. ما أجهلك!
حملت ما أشفق الكون من حمله!

تبعات الدين عظيمة وتكاليفه متينة، تتطلب من الإنسان شديد حذر وتأهب، ومن أعظم تلك التبعات: (الأمانة) التي أنيط حملها ـ لا بالمسلم فحسب ـ بل بالإنسان عامة، وللأمانة معان عدة، إلا أن أعظم تلك المعاني وأشملها وأعمها، تلك الأمانة التي ذكرت في آخر سورة الأحزاب، وذلك لأنها تعني أمانة التكليف الذي ألقي على عاتق البشر.. نغوص في خضم ذلك البحر المائج لمعنى الأمانة وفق تصوير القرآن لها في تلك الآيات.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً (٧٣)﴾.

ورد لفظ الأمانة في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً، منها سبعة مواضع فيما يؤتمن عليه الإنسان من ودائع ونحوها كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيراً (٥٨)﴾ [النساء] وموضعان فيما يؤتمن عليه الإنسان من الأعراض (العفة والصيانة) والتكاليف كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾

[القصص: ٢٦] وخمسة مواضع فيما يؤتمن عليه الرسل والملائكة في التبليغ عن المولىٰ سبحانه كقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء] ومنها موضعان فيما يؤتمن عليه الإنسان من الفرائض والتكاليف كقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب] وهذه الآية هي التي سوف نتعرض لها بالشرح والتحليل من خلال أقوال العلماء.

تعريف الأمانة: مادة (أمن) تدل علىٰ سكون القلب، يقال رجل أَمَنَةٌ: إذا كان يأمنه الناس ولا يخافون غائلته، وأمّنه: إذا كان يصدق ما سمع ولا يكذب بشيء وأمانة ضد الخيانة.

والأمانة اصطلاحاً: كل ما افترض الله علىٰ العباد فهو أمانة، يقول القرطبي: (والأمانة تعم جميع وظائف الدين علىٰ الصحيح من الأقوال).

تحليل الآيات:

المناسبة بين هذه الآية وبين الآية التي قبلها: لما بيّن ـ سبحانه ـ عظم طاعة الله ورسوله في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١] عقب علىٰ ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها، وهاتان الآيتان ختام رائع لسورة الأحزاب التي جمعت أوامر عالية وحكماً ومواعظ رائعة كلها من تكاليف الإسلام، بل هي من لبابه، حيث إن تلك التكاليف ليست

هينة وإنما هي من عظائم الأمور التي أشفق من حملها السماوات والأرض.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. يعظم ـ تعالىٰ ـ شأن الأمانة التي أؤتمن عليها المكلفين من امتثال الأوامر واجتناب المحارم في حال السر والخفية كحال العلانية، وأنه ـ تعالىٰ ـ عرضها علىٰ المخلوقات العظيمة: السماوات والأرض والجبال عرض تخيير لا تحتيم وإلزام.

يقول **ابن كثير**: (إنها التكاليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب).

وفي التعبير عن التكاليف الشرعية بأنها (الأمانة) تنبيه علىٰ أنها حقوق مرعية أودعها الله ـ تعالىٰ ـ المكلفين وائتمنهم عليها، وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَ﴾ أي خفن من عواقب حملها أن ينشأ لهن من ذلك عذاب الله وسخطه، وهذا الفعل منهن سببه الخوف ألا يقمن بما حملن لا عصياناً ولا زهداً في ثوابه وفي ذلك تهويل لأمر الأمانة.

ويتبادر إلىٰ الذهن سؤال: هل العرض والإباء علىٰ حقيقته؟ يقول

الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: (وهذا العرض والإباء والإشفاق كله حق، وقد خلق الله للسماوات والأرض والجبال إدراكاً يعلمه هو ـ جل وعلا ـ ونحن لانعلمه، وبذلك الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها، وأبت وأشفقت أي خافت، ومثل هذا تدل عليه آيات وأحاديث كثيرة، فمن الآيات الدالة على إدراك الجمادات المذكورة قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] فصرح بأن من الحجارة ما يهبط من خشية الله، وهذه الخشية التي نسبها الله لبعض الحجارة بإدراك يعلمه هو ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص].

ومن الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك قصة حنين الجذع، الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ لما انتقل بالخطبة إلى المنبر وهي في صحيح البخاري وغيره. قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

عرض الأمانة على الإنسان، بالشرط المذكور وهو إن قام بها أثيب وإن تركها عوقب فقبلها وحمل هذا الحمل الثقيل مع ظلمه وجهله إلا من وفق الله.

قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

المناسبة: انقسم الناس بحسب قيامهم بالأمانة وعدمه إلى ثلاثة

أقسام: منافقين قاموا بها ظاهراً لا باطناً، ومشركين تركوها ظاهراً وباطناً ومؤمنين قائمين بها ظاهراً وباطناً، فذكر الله ـ تعالىٰ ـ أعمال هؤلاء الأصناف الثلاثة ومالهم من الثواب والعقاب.

يقول ابن كثير: وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ أي إنما حمل بني آدم الأمانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين والمنافقات وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله: ﴿وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ وهم المشركون ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسوله: ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي ليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، العاملين بطاعته: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿..لِيُعَذِّبَ اللَّهُ..﴾ وقوله: ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ﴾ إظهار في موضع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه.

مجالات الأمانة:

الأمانة في نظر الشارع الحكيم واسعة الدلالة، وهي ترمز إلىٰ معان شتىٰ مناطها جميعاً شعور المرء بتبعيته في كل أمر يوكل إليه وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه يوم القيامة.

والمجالات التي تدخل فيها الأمانة كثيرة منها:

* الالتزام بحق الله وعبادته على الوجه الذي شرعه وإخلاص الدين له قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

* أن ينظر الإنسان إلى سائر حواسه التي أنعم الله بها عليه، وإلى المواهب التي خصه الله بها فيدرك أنها ودائع من الله لابد من استخدامها في مرضاته سبحانه قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال].

* أن ينصح الإنسان من استشاره وأن يصدق من وثق برأيه.

* الحرص على أداء العمل وإتقانه وكتمان أسراره.

* حفظ الودائع والأموال التي استؤمن عليها الإنسان قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

* القيام بحقوق الولاية والوصاية والشهادة والقضاء.

فوائد الأمانة:

- أنها من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- يقوم عليها أمر السماوات والأرض.
- هي محور الدين وامتحان رب العالمين.
- بها يحفظ الدين والعرض والمال.

ـ الأمين يحبه الله ويحبه الناس .

ـ من أعظم الصفات الخلقية التي وصف الله بها عباده المؤمنين فقال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون] .

ـ المجتمع الذي تنتشر فيه الأمانة مجتمع خير وبركة .

وقفات شرعية
لحفظ عورات البيوت

ديننا الحنيف ينفرد بتعاليم عظيمة من بينها تلك التي بين أيدينا في آداب الاستئذان، وسر العظمة في ذلك أن الإسلام يعتمد قبل كل شيء على الوقاية قبل وقوع المرض والشروع في العلاج، فهو بذلك لا يحارب الدوافع الفطرية ولكنه ينظمها، وذلك بتضييق فرص الغواية، واتقاء عوامل الفتنة، فهذا منهج التربية الإسلامية الذي يجب أن نستلهمه ونسير على خطاه ومن ذلك حرمة البيوت وآداب الاستئذان، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [النور].

الآيات السابقة لهاتين الآيتين ذكرت الزنى وحكمه والقذف وقصة الإفك، وهنا بسط الموضوع واتباعه ودواعيه مما يمنع شبهة هذه الجرائم وهي حكمة دخول البيوت بدون استئذان. فأرشد ـ سبحانه وتعالى ـ إلى طريقة مثلى يجب تباعها حتى لا يقع الناس في الخطر الجسيم الذي يقضي على أواصر المجتمع، ويدمر الأسر، ويشيع الفحشاء بين الناس لنا مع هذا التوجيه القرآني السامي عدة وقفات.

الوقفة الأولى:

أن الاستئناس طلب الإيناس وهو ضد الوحشة، وهو معرفة أنس أهل البيت بدخول زائر عليهم، وذلك إما بالتنحنح وإما بالتسبيح وإما بالتكبير، وهو أبلغ وأعم من الاستئذان ومستلزم له، بل قد يخطيء الكثيرون إذ يجعلونهما بمعنى واحد فالاستئناس هو طلب الإذن مع إزالة الوحشة، يقول ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : (تفسيرها بالاستئذان هذا تفسير لبعض أفرادها، لأن الاستئناس أعم من الاستئذان، وقد يستأنس الإنسان ولا يكون في قلبه وحشة من دخول البيت، وإن لم يستأذن، وحينئذ لا يبقى عنده إلا السلام، مثل لو دعاك إنسان إلى بيته بعد صلاة الظهر فلما جئت وجدت الباب مفتوحاً يبقى عليك أن تسلم لأن حقيقة الأمر أن الاستئذان هنا لا محل له، والسبب أن الرجل قد عين الوقت ووجدت الباب مفتوحاً، وهذا معناه إذن ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ يعني حتى لا يكون بكم وحشة).

الوقفة الثانية:

في هذه الآية نفي ما يعتقده البعض من جواز دخول الدار التي لا يوجد فيها صاحبها ظناً بأن النهي إنما هو لخشية الاطلاع على عورات أهل الدار أنفسهم، فإن أهلها وإن غابوا فإنهم يكرهون أن يطلع أحد على ما في دارهم من متاع وغيره والنبي ﷺ قال: **«إنما جعل الاستئذان من البصر»** [رواه البخاري].

أجل فبسبب الإخلال به يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده.

الوقفة الثالثة:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الخيرية تشمل أموراً عديدة منها:

* أن الإنسان لا يكشف محارم هذا البيت. س

* البراءة من التهمة، وهذا من أهم الأشياء، فإن الإنسان إذا استأذن فقد دخل على بصيرة.

* في التسليم تأمين أهل البيت مع الدعاء لهم بالسلامة، فيعرفون أنه لايمكن أن يحصل منك ضرر.

* كسب الأجر والحسنات عندما يقول المرء لأخيه المسلم: (السلام عليكم).

الوقفة الرابعة:

في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تأديب رباني لمن أراد دخول البيوت فلم يأذن له صاحب الدار فعليه حينئذ أن يرجع دون تردد؛ لأن ذلك خير له من الوقوف على الأبواب والإثقال على أهل المنزل، فقد يكونون في شغل شاغل عنه، وبناء على هذا يجب أن يكون رجوعه برضى وبدون إشعار أهل البيت بالإساءة وألا تأخذه العزة فيعتبر ذلك

إهانة أو سوء أدب؛ لأن صاحب البيت ـ في هذه الحالة ـ لم يمنعه حقاً واجباً إنما هو متفضل فإن شاء أذن له أو منع.

وقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ أبو موسىٰ كأنه مذعور، فقال: استأذنت علىٰ عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال ما منعك؟ استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت فقال رسول الله ﷺ: **«إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع»** فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه عن النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: والله لايقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

الوقفة الخامسة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ اختلف العلماء في ذلك علىٰ قولين منهم من يرىٰ تقديم الاستئناس علىٰ السلام لظاهر الآية، ومنهم من يرىٰ أن السلام قبل الاستئناس للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، ومنهم من فصّل في ذلك فقال: إذا علم أن صاحب البيت فيه فإنه يسلم، ثم يستأنس لما روي أن رجلاً من بني عامر استأذن النبي ﷺ وهو في البيت فقال: أألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: **«اخرج إلىٰ هذا فعلمه الاستئذان فقل له السلام عليكم أأدخل»**.

وإذا لم يعلم فإنه يستأذن ثم يسلم، وهذا هو الأصح - والله أعلم - لأن فيه جمعاً بين الآية والأحاديث.

الوقفة السادسة:

كلما قرأت هذه الآية قفز إلى ذهني تصرف سيىء تقوم به بعض الأخوات - هداهن الله - وذلك عندما يرن جرس الهاتف وتسترسل المتصلة بالسؤال عن الأحوال والويل لمن اعتذرت عن مكالمتها إما لوجود الزوج وإما لأن الوقت غير مناسب، ألا تعلم تلك الأخت أن للبيوت حرمة؟ ماذا يكلفها لو سألت نفسها هل نفسيَّات الأخريات وظروفهن مهيأة لاستقبال مكالمتها؟ ألا تعلم أن ما تفعله له أضرار عديدة قد لا تخطر ببالها؟ ومن ذلك أن انشغالها بالهاتف لوقت طويل وإهمالها لعمل البيت خصوصاً إذا كان الزوج حاضراً قد يسبب مشكلات لا تحمد عقباها.

وقد تجامل بالاستجابة في هذه المرة وتتهرب من مكالمتها في المرات المقبلة مما يسبب قطع أواصر الأخوة أو تخلخلها.

نصيحتي لكل أخت: أنها إذا أرادت المهاتفة أن تسأل أولاً عن مناسبة الوقت للطرف الآخر وأن لا تطيل الكلام، كذلك أن تقبل الاعتذار بصدر رحب مستشعرة قوله - تعالى -: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

وقفات شرعية
مع سورة التكاثر

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾.

هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق، وكأنما هي صوت نذير ما إن يقرأها المسلم حتىٰ يشعر بثقل ما علىٰ عاتقه، ثم يبدأ يحاسب نفسه علىٰ الصغير والزهيد ولنا مع هذه السورة العظيمة (سبع) وقفات شرعيّة وهي كالتالي:

الوقفة الأولى:

﴿أَلْهَاكُمُ﴾ أي شغلكم عن طاعة الله وعبادته وعما ينجيكم من سخطه عليكم ﴿التَّكَاثُرُ﴾ أي المكاثرة، ولم يذكر هنا في أي شيء كانت المكاثرة التي ألهتهم، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: ترك ذكره للمكاثرة إما لأن المذموم هو نفس التكاثر بالشيء لا المتكاثر به وإما إرادة الإطلاق.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ تعقيباً عليه: ويعني ـ رحمه الله ـ بالأول: ذم الهلع والنهم وبالثاني: ليعم كل ما هو صالح للتكاثر به من مال وولد وجاه، وبناء وغراس.

الوقفة الثانية:

جاءت نصوص من كتاب الله تدل على أن التكاثر الذي ألهاهم والذي ذمهم الله بسببهم أو حذرهم منه إنما هو في الجميع كما قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد] ومما يرجح أن التكاثر في الأموال والأولاد في السورة نفسها، ما جاء في آخرها من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ لمناسبتها لأول السورة هو ظاهر بشمول النعيم للمال شمولاً أولياً.

الوقفة الثالثة:

الذم في الآية واقع على التكاثر في متاع الدنيا الزائل ولذاتها الفانية أما التكاثر بأسباب السعادة الأخروية فهو مطلوب شرعاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وعليه فالتكاثر من حيث تعلق الذم والحمد قسمان: محمود، ومذموم.

فالتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يذكِّر بالله وبنعمه وفضله، والنفوس الشريفة ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يدوم نفعه، وتكمل وتزكو به، وتصير مفلحة وصاحبها لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه، فلا تحب أن يكاثرها غيرها في ذلك وينافسها في هذه المكاثرة ويسابقها إليها، فهذا هو غاية سعادة العبد، كذلك كانت حال عمر مع أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ فلما

تبين لعمر مدى سبق أبي بكر له قال: والله لا أسابقك إلى شيء أبداً.

وضده: تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم وعاقبته قل وفقر وحرمان.

الوقفة الرابعة:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ قيل إن الزيارة على حقيقتها، فإن تفاخرهم حملهم على الذهاب إلى المقابر ليتكاثروا بأموالهم، لكن الصحيح والله أعلم في ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ يعني متم لأن الميت يأتي إلى القبر كالزائر؛ لأن وجوده فيه مؤقت، فسموا زائرين لا مقيمين، وفي هذا دلالة على البعث والجزاء عن الأعمال في دار باقية غير فانية.

وقد روى أن أعرابياً سمع هذه الآية، فقال: بعثوا ورب الكعبة فقيل له في ذلك فقال: لأن الزائر لابد أن يرتحل.

الوقفة الخامسة:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كلا: زجر عن التلهي والتكاثر المذكور، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي حقيقة الأمر: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تكرار للتأكيد وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ أعيد الزجر تأكيداً لإبطال ما هم عليه من التشاغل بأنهم لو يعلمون علماً يقينياً أن الله سيبعثهم لما انشغلوا بهذا التكاثر.

وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ يقسم ربنا بأن عباده سيشاهدون النار رؤية بصرية بأعينهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف] قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ أي أنهم سيكونون متيقنين برؤية النار، يقيناً لا شك فيه، فقد أكد ـ سبحانه ـ هذا الخبر بأنه واقع لامحالة.

الوقفة السادسة:

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ أي: ثم ليسألنكم الله يوم ترون النار عن كل نعمه التي أنعمها عليكم في دار الدنيا، وعن ذلك النعيم الذي ظللتم فيه تتفكهون هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به علىٰ معاصيه، فينعمكم نعيماً أعلىٰ منه وأفضل؟ أم اغتررتم به ولم تقوموا بشكره، بل ربما استعنتم به علىٰ المعاصي فيعاقبكم علىٰ ذلك؟.

وأصل النعيم كل حال ناعمة من النعومة والليونة ضد الخشونة كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وعلىٰ هذا فإن نعم الله عديدة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

أصول هذه النعم:

أولها: الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وثانيها: الصحة، وكمال الخلقة والعافية فمن كمال الخلقة الحواس قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البلد].

وثالثها: المال في كسبه وإنفاقه سواء، ففي كسبه من حله نعمة وفي إنفاقه في أوجهه نعمة.

الوقفة الأخيرة:

سر دوام النعم:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: **«ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟»** قال: الجوع يا رسول الله، قال: **«وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا»** فقاموا معه فأتىٰ رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً فقال رسول الله ﷺ: **«أين فلان؟»** قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، وبينما هو كذلك إذ جاء الأنصاري فنظر إلىٰ رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ: **«إياك والحلوب»** فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ **«والذي نفسي بيده، لتسألنّ عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكما من بيوتكما الجوع، ثم لم ترجعوا حتىٰ أصابكم هذا النعيم»**.

هل تأملتم هذا الحديث جيداً، وأمعنتم النظر فيه؟ هل قارنتم حالكم بحال من ذكروا فيه؟.

قال الزبير: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ قالوا يا رسول الله: لأي نعيم نسأل عنه، وإنهما هما الأسودان: التمر والماء؟ قال: **«إن ذلك سيكون»**.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ النعيم: صحة الأبدان، والأسماع والأبصار، يسأل الله العبد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

إن سر دوام النعم وزيادتها هو شكر المنعم ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فمن جحدها سلبت منه، ومن عرف حقها وشكرها فإن الله يحفظها ويديمها وينميها قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

وأركان الشكر ثلاثة:

* شكر القلب: وهو استشعار النعمة والاعتراف بأنها من عند الله.

* شكر اللسان: وهو الثناء عليه سبحانه قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ليرضىٰ عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده ويشرب الشربة فيحمده عليها»**.

* شكر الجوارح: أي الاستعانة بها علىٰ مرضاة الله.

السمع أمانة ومنة كبرى

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان] إن نعم الله كثيرة وآلاءه عميمة ونعمة الجوارح هي من تلك النعم التي أمتن الله بها علىٰ عباده، وثمة جارحة من تلك الجوارح لطالما فرطنا في حقها، وطالما انتهكنا حق الله فيها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]. . تلك هي جارحة السمع.

وإن من الواجب علىٰ كل مسلم قبل أن يقرأ تفسير هذه الآية من سورة لقمان أن يستحضر ثلاث آيات من كتاب الله ثم يقف طويلاً عندها قبل الإقدام علىٰ أي عمل وبخاصة إذا كان هذا العمل فيه تعطيل لعمل جارحة من جوارح الإنسان وسوء استخدام لها وهذه الآيات هي:

* قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

* قوله تعالىٰ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء] .

قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾ [النور] .

والآن نبدأ بالوقفات مع الآية من سورة لقمان .

الوقفة الأولى:

تعريف اللهو لغة : كل شيء شغلك عن شيء ، وقيل : ما شغلك من هوىٰ وطرب ، واللهو : الصدوف ، يقال : لهيت عن الشيء إذا سلوت عنه وتركت ذكره وأضربت عنه ، وأصل اللهو : الترويح عن النفس بما لا تقضيه الحكمة .

اللهو اصطلاحاً : قال الجرجاني : اللهو : الشيء الذي يتلذذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي .

وقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

جاء في تفسير هذه الآية : أن لهو الحديث هنا الغناء ، فقد روىٰ ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه سئل عن تفسير الآية فقال : (الغناء ، والله الذي لا إله إلا هو) يرددها ثلاث مرات وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : (الغناء وأشباهه) وفي رواية أخرىٰ أنه قال : (هو الغناء والاستماع إليه) وقد فسره بهذا المعنىٰ خلق من التابعين منهم :

مجاهد، وعكرمة، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة والنخعي.

الوقفة الثانية:

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (قيل: هو الغناء، قال مجاهد: بالله والغناء، أي استخفهم بذلك، وقال ابن عباس: كل داع دعا إلىٰ معصية ـ الله عز وجل ـ وقاله قتادة، واختاره ابن جرير).

فالغناء: صوت الشيطان يستفز بني الإنسان إلىٰ الفجور والعصيان فالواجب تجنبه والإعراض عنه.

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قوله ﴿سَامِدُونَ﴾ هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وهي لغة أهل اليمن، قال اليماني: أسمد، وذكر ابن كثير في معنىٰ هذه الآية قال: الغناء، وهي يمانية اسمد لنا: غن لنا.

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

الوقفة الثالثة:

روىٰ البخاري عن أبي عامر ـ أو أبي مالك ـ الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلىٰ جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم ـ يعني الفقير ـ لحاجة فيقولوا: إرجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم،**

ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة» .

* عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **«في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف»** قيل يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال : **«إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور»** .

الوقفة الرابعة:

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) .

وكتب عمر بن العزيز ـ إلى مؤدب له : (ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء) .

وحين سئل مالك بن أنس عن مايترخص به أهل زمانه من الغناء، قال : إنما يفعله عندناالفساق .

يقول الضحاك : الغناء مفسدة للقلب، مسخطة للرب .

الوقفة الخامسة: حكم الغناء:

إن الغناء والاستماع إليه حرام ومنكر، ومن أسباب مرض القلوب وقسوتها، والأدلة على تحريمه كثيرة جداً . .

فتوى سماحة **الشيخ عبد العزيز بن باز** ـ رحمه الله ـ :

يقول السائل: ما حكم الأغاني هل هي حرام أم لا رغم أنني أسمعها بقصد التسلية فقط، وما حكم العزف على الربابة والأغاني القديمة؟ وما حكم الطبل في الزواج؟

فأجاب ـ رحمه الله ـ: (الاستماع إلى الأغاني حرام ومنكر ومن أسباب مرض القلوب وقسوتها وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة، وقد فسر أكثر أهل العلم قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [لقمان] بالغناء، وكان عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ يقسم على أن لهو الحديث هو الغناء، وإذا كان مع الغناء آلة كالربابة والعود والكمان والطبل صار التحريم أشد، وذكر بعض العلماء أن الغناء بآلة لهو محرم إجماعاً، فالواجب الحذر من ذلك، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»** والمعازف هي: آلات الطرب، وأوصيك وغيرك بالإكثار من قراءة القرآن ومن ذكر الله ـ عز وجل ـ كما أوصيك بسماع إذاعة القرآن وبرنامج نور على الدرب ففيهما فوائد عظيمة، وشغل شاغل عن سماع الأغاني وآلات الطرب، أما الزواج فيشرع فيه ضرب الدف مع الغناء المعتاد الذي ليس فيه دعوة إلى محرم، ولا مدح محرم في وقت من الليل للنساء خاصة لإعلان النكاح والفرق بينه وبين السفاح كما صحت السنة بذلك عن النبي ﷺ،

أما الطبل فلا يجوز ضربه في العرس ولا في غيره بل يكتفي بالدف خاصة في العرس فقط للنساء دون الرجال.

الوقفة السادسة: واقع بعض النساء هداهن الله:

يعيش أهل الإسلام في ظل هذا الدين حياة شريفة كريمة يجدون من خلالها حلاوة الإيمان وبرد اليقين والاطمئنان وأنس الطاعة ولذة العبادة، وتقف تعاليم هذا الدين حصناً ضد نوازع الانحراف، وأهواء المنحرفين، تصون الإنسان عن نزواته وتحميه من شهواته، وتقضي على همومه وأحزانه.

وإن مما يحزن المسلم الغيور على دينه أن يبحث بعض المسلمين عن السعادة في غيره وينشدوا البهجة فيما عداه، يضعون السموم على الأدواء موضع الدواء طالبين العافية والشفاء في عاجل الشهوات والأهواء، ومن ذلك عكوف كثير من الناس اليوم على استماع آلات الملاهي، والغناء، حتى صار ذلك سلوكهم، متعللين بعلل واهية، وَشُبَهٍ داحضة، وأقوال زائفة تبيح الغناء، ليس لها مستند صحيح.. يقوم على ترويجها قوم فتنوا باتباع الشهوات واستماع المغنيات.

إن من أبطل الباطل وأبين المحال أن يقول أحد من أهل العلم والإيمان بإباحة الغناء المعروف اليوم، المشتمل على كل مفسدة، الموقع في كل مهلكة، غناء يضج بوصف العيون، ومحاسن

المعشوق، وألوان العتاب، ولواعج الاشتياق، وآثار القلق، صوت شيطاني يتغلغل في القلوب يثير كامنها، ويحرك ساكنها، إلىٰ شهوات الغي، والردىٰ، ضحك، وصخب، رقص، وتكسر، عفن يزكم الأنوف، وفجور يملأ الآذان، يصك الأسماع، كيف يدنس العاقل نفسه الشريفة في خلاعة ماجنة تأنف منها النفوس المؤمنة، وتنفر منها الطباع السلمية؟

إن نصيحتي لكل من ابتلي بسماع هذا اللهو المحرم ما يأتي:

* التوبة النصوح، والإخلاص لله ـ تعالىٰ ـ.

* الندم علىٰ فعل تلك المعصية.

* الإقلاع عنها فوراً، والمبادرة إلىٰ التخلص من جميع أشرطة الغناء التي عندك أو تسجيل مادة مفيدة عليها، فيكون لك أجر من سمعها ـ إن شاء الله ـ.

* العزم علىٰ عدم العودة إليها في المستقبل.

* شغل الوقت بما ينفع لأن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية فاشغل نفسك بذكر الله أو حفظ القرآن أو سماع الأشرطة المفيدة أو أعمال المنزل أو مساعدة الآخرين.

* عظم تقوىٰ الله ومراقبته والتضرع إليه بالدعاء الصادق أن يجعل القرآن ربيع قلبك، ونور صدرك وجلاء همك، وأن

يخلصك من هذه المعصية، وألح إليه في الدعاء فإن الله يحب العبد الذي يتضرع له، ويطلب منه ـ سبحانه ـ أن يعينه على أمور دينه ودنياه.

الوقفة السابعة: مضار الغناء:

* الغناء طريق خطر، ومنزلق يؤدي إلى مضار عديدة منها:

ـ قطع الصلة بين العبد وربه شيئاً فشيئاً من حيث لا يشعر.

ـ يوقع صاحبه في حبائل الشيطان، ويبعده عن ذكر الرحمن، فسماع الأغاني يضاد سماع القرآن من كل وجه، فإن القرآن كلام الله ووحيه ونوره الذي أحيا به القلوب الميتة، وأخرج به العباد من الظلمات إلى النور. أما الأغاني وآلاتها فهي مزامير الشيطان.

ـ هذا الله والمحرم يجر الباطل إلى المسلم، فقد فشت بسبب هذه الأغاني منكرات كثيرة منها: فاحشة الزنا والشذوذ الجنسي، وما شابهها، وتمكنت في كثير من الناس، وما ذاك إلا لأنهم ألفوا هذه الأصوات الرقيقة الرنانة المثيرة للشهوات التي تدفعهم إلى اقتراف المحرمات ولا يجدون ما يردعهم، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**» [رواه البخاري].

- يزرع النفاق في القلب، وينميه الشيطان ويحسنه ويزينه له، حتى يصير منافقاً خالصاً.

- تتضاءل شخصية صاحبه في مجتمعه حتى يُحتَقَر وينبذ.

الوقفة الثامنة:

اعلم أن ضعف الإيمان وضعف الوازع الديني سبب رئيسي لتمكن هذه الأغاني في قلوب كثير من الناس، وكذلك قلة الخوف من - الله تعالى - ومراقبته في السر والعلن.

الوقفة التاسعة:

الاعتبار بقصص سوء الخاتمة لمن ختم لهم بهذه المعصية - نسأل الله العافية - يقول أحد الدعاة: (كنت عائداً من عملي، وكان هناك حادث على أحد الجسور، فوقفت لمساعدة المصابين، فإذا شاب في حالة الاحتضار فوضعت رأسه على فخذي وقلت له: يا ولدي، قل لا إله إلا الله، يقول الشيخ: فكان الشاب يتمتم بكلام ماجن، فحاولت معه ولكنه استمر في الغناء إلى أن لفظ أنفاسه، يقول الشيخ: فتركته وذهبت إلى السيارة، فإذا صوت الغناء ينبعث منها بنفس الأغنية التي كان الشاب يرددها حتى مات عليها، نسأل الله أن يحسن خاتمتنا).

الوقفة الأخيرة:

إن السمع أمانة عظمىٰ ومنة كبرىٰ، امتن الله علىٰ عباده بها، وأمرهم بحفظها، وأخبرهم بأنهم مسؤولون عنها، وأن استماع الأصوات المطربة وما يصاحبها من المزامير جحود لهذه النعمة واستخدام لها في معصية الله، وإن تعظيم الأغاني وآلات اللهو وإظهار أصحابها بمظهر السيادة دعوة للناس إلىٰ غي وضلال، وصد لهم عن كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ وقد قال ﷺ«... **ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**».

ومن هذا المنطلق: فإنه ينبغي للمسلم أن ينزه سمعه عن اللهو ومزامير الشيطان وتستبدل بكل ذلك رياض الجنان: رياض حلق القرآن، ومدارسة سنة سيد الأنام، ولنكن ممن قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان].

وممن قال فيهم ـ سبحانه ـ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون].

جمالك في حيائك

إن المرأة المسلمة تنتمي إلى أمة جليلة عظيمة، أمة أنجبت قادة رجالاً فاتحين، وهي أمة الهداية والرشد والدين القويم، خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقود البشرية - بإذن الله - إلى العدل والإحسان.

وإن أعداء الإسلام يريدون أن يصرفوها عن مهمتها الشريفة في خدمة الدين فنراهم يقدمون لها الإغراءات الدنيوية المثيرة والزخارف الفانية والنماذج الفاضحة التي لا تنتهي والشهوات التي تؤجج، والزينة الهدامة.. كأنها لم تخلق إلا لهذه التفاهات التي تشمئز منها النفوس الزكية.

هذا كله محاط بالدعوة إلى التبذير والحسد والتباهي والتقليد، وخلع وشاح الحياء الذي امتازت به المرأة المسلمة.

ونحن هنا سنلقي الضوء - بإذن الله - على بعض الأخلاق الإسلامية المضيئة ونشد على يد كل أخت مسلمة متصفة بها، وندعو الله لها بالثبات، ونحاول - بإذن الله - رسم الطريق الصحيح لكل أخت مسلمة ضلت الطريق، لتعلنها توبة صادقة، وتسير جنباً إلى جنب، مع باقي أخواتها في سبيل نصرة هذا الدين القويم، الذي جاء محققاً للسعادة في الدارين، ونعرض للآية [٢٥] من

سورة [القصص] قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ولنا معها الوقفات التالية:

الوقفة الأولى:

الحياء لغةً: هو تغير وانكسار وانقباض يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

أما في الشرع فهو: خُلق يبعث علىٰ ترك الأمور القبيحة، فيحول بين الإنسان وارتكاب المعاصي، ويمنعه من التقصير في حق ذي الحق.

ويدل علىٰ هذا المعنىٰ الشرعي قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** [ج٦، ص ٥١٥].

في هذا الحديث توبيخ وتهديد بأسلوب الأمر الذي يراد به لا إنه إباحة فعل ما يشاء المرء، فإن فاقد خلق الحياء يعتبر فاقداً لمعيار الآداب ومكارم الأخلاق، فلم يبق عنده ما يحمله علىٰ التحلي بها، أو التقيد بأحكام الشريعة، نسأل الله العافية.

الوقفة الثانية: الحياء خاصة بشرية:

لقد جاء حديث القرآن عن الحياء عند بعض المؤمنين وذلك عند حديثه عن المرأة التي سقىٰ لها موسىٰ ـ عليه السلام ـ والتي آلت

فيما بعد زوجاً له، فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

وهذا تنويه عظيم بهذا الخلق الكريم من هذه الفتاة المؤمنة بأنفع عبارة وهي لفظ: ﴿اسْتِحْيَاءٍ﴾ إذ الاستحياء مبالغة في الحياء، وجاء منكّراً لتفخيم أمره.

قيل في تفسير هذه الآية:

فجاءت موسىٰ إحدىٰ المرأتين اللتين سقا لهما تمشي علىٰ إستحياء من موسىٰ ـ عليه السلام ـ وقد سترت وجهها بثوبها واضعة كم درعها علىٰ وجهها وقيل: إنها واضعة يديها علىٰ وجهها.

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: (جاءت مستترة بكم درعها) وقال: (جاءت تمشي علىٰ استحياء قائلة ثوبها علىٰ وجهها، ليست بسلفع من النساء خرّاجة ولاّجة).

والسلفع من النساء: الجريئة السليطة.

وقيل: قال لها ـ موسىٰ عليه السلام ـ: (امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك).

ولعل ذكر الاستحياء في القرآن في مقام المرأة دون غيرها من المؤمنين، فيه دلالة علىٰ أهمية الحياء في جانبها، ولما يترتب علىٰ

كمال حيائها من درء المفاسد الاجتماعية الناجمة عن تخليها عنه في كثير من المجتمعات المشاهدة في عصرنا، وأيضاً للإشارة إلىٰ ما يجب أن تكون عليه في مجتمعاتها من الحياء بإعطاء هذا المثل الصالح للمرأة المؤمنة الصالحة لتحتذي النساء به، إذ إن ذكره بجانبها علىٰ ذلك الأسلوب من التنويه يعد حافزاً للمرأة علىٰ التحلي به، حتىٰ تكون تلك المرأة المؤمنة، وترشّح لمثل ذلك الثناء.

الوقفة الثالثة:

الحياء خلق الإسلام، قال ﷺ: **«إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء»** والحياء من الإيمان، فقد روىٰ البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ مر علىٰ رجل من الأنصار و هو يعظ أخاه في الحياء كأنما يقول له: قد أضر بك الحياء ـ فقال رسول الله ﷺ: **«دعه فإن الحياء من الإيمان»** [ج١، ص ٧٤].

وإن مدار الإسلام علىٰ خلق الحياء من حيث الفعل؛ لأنه القانون الشرعي الذي ينظم الأفعال الشرعية جميعها ولذلك اتفقت كلمة الأنبياء علىٰ استحسانه.

ولما أكل آدم من الشجرة التي نهاهما الله عنها وبدت لهما سوآتهما أخذا يجمعان من ورق الجنة ويشبكانه بعضه ببعض ويضعانه علىٰ سوآتهما، مما يوحي أن الإنسان يستحي من التعري فطرة، ولا يتعرىٰ ولا يكشف إلا بفساد في هذه الفطرة من إبليس

وأعوانه لأن العري صفة بهيمية لايميل الإنسان إليها إلا وهو ينتكس إلىٰ حمأة الحيوانية وإن رؤية العري جمالاً هو فساد في الذوق الإنساني قطعاً.

ولقد كمل خلق الحياء بتمامه في سيرة الرسول ﷺ حتىٰ إن أبا سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: (كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها) [ج٦، ص٥٦٦].

وكان عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أشد الصحابة حياءً، قال ﷺ: **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟»**.

الوقفة الرابعة: أنواع الحياء:

*** الحياء من الله:**

إن أسمىٰ صور الحياء تكون مع الخالق ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فإن إحساس المؤمن في الدنيا أن الله يراه ويطلع علىٰ جميع أحواله، مدعاة إلىٰ الحياء منه؛ لأن ذلك طريق إلىٰ إقامة كل طاعة، واجتناب كل معصية، لأن العبد إذا خاف ربه لن يتأخر عن أي طاعة ولم يقرب أي معصية، وبذلك يكون الحياء من الإيمان قال ﷺ: **«الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من شعب الإيمان»** [البخاري، ج١، ص٥١].

وقد حث الشرع علىٰ الاستحياء من الله حق الحياء فقال ﷺ: **«استحيوا من الله حق الحياء، ومن استحيا من الله حق الحياء فليحفظ**

الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»
[رواه الترمذي، ١٤٥٨، وحسنه الألباني ـ رحمه الله ـ].

*** الحياء من الملائكة:**

من المعلوم أن الله ـ تعالى ـ جعل معنا ملائكته يتعاقبون علينا بالليل والنهار وهم الحفظة والكتبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار] فالحياء من الملائكة بالبعد عن المعاصي والقبائح وإكرامهم بتجنب مجالس السوء والأفعال والأقوال المذمومة المستقبحة.

الحياء من الناس:

ويدخل في ذلك حياء الولد من والديه، والمرأة من زوجها، وحياء الجاهل من العالم، والصغير من الكبير.

حياء المرء من نفسه:

وهذا ضرب من الحياء تحس به النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة، فلا تقنع بالدون والهون، فيجد المرء نفسه مستحياً من نفسه، فكأن له نفسين يستحي بإحداهما من الأخرى، وهذا القسم من كمال الحياء، فإن العبد إذا استحى من نفسه فهو من باب أولى يستحي من غيره.

الوقفة الخامسة: الحياء قسمان:

*** خلقي جبلي غير مكتسب:**

وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها ولهذا

قال ـ رسول الله ﷺ : **«الحياء لا يأتي إلا بخير»** فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار، ومن لزمه صان عرضه ودفن مساوئه ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه هان على الله وعلى الخلق وعلى نفسه، قال أحدهم: تركت الذنوب حياء أربعين سنة ثم أدركني الورع.

*** مكتسب:**

الحياء المكتسب من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده، واطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو من أعلى خصال الإيمان بل هو من أعلى درجات الإحسان.

ومما يعين على ذلك مايلي:

* أولاً: مراقبة الله ـ عز وجل ـ فالإنسان متى علم أن الله سبحانه وتعالى ناظر إليه قريب منه أورثه هذا العلم حياء منه سبحانه.

* ثانياً: شكر النعمة: يتولد الحياء من الله في التقلب في نعم الله التي لا تحصى، فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصية الله.

* ثالثاً: مطالعة نعمة الله ورؤية التقصير في شكرها: فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزي لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنيئة فصار لا إيمان له.

الوقفة السادسة: المعاصي تذهب الحياء:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه، فقد جاء في الحديث: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»** [رواه البخاري: ١٠/ ٦١١٧].

(والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد، حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله، ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع).

فالمجاهرة بالمعصية ـ نسأل الله العافية ـ من الأمور الخطيرة التي يغفل عنها بعض الناس ممن فقدوا فضيلة الحياء، فقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان فعلتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عليه»** [رواه البخاري: ١٠/ ص ٤٨٦].

فالمجاهر هو الذي أظهر معصيته وكشف ما ستر الله عليه فيحدث بها، وفي لفظ: «المجاهر»: إما بمعنى جهر بها وهذا مبالغ فيه، ويحتمل أن يكون على ظاهره المفاعلة، والمراد: الذين يجاهر

بعضهم بعضاً بالتحدث بالمعاصي.

قال شراح الحديث: (إن الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالح المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذل أهلها، فإن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة والذي يجاهر يفوته كل هذا.

مظاهر مخلة بالحياء:

هناك مظاهر عديدة تفعلها بعض النساء ـ هداهن الله ـ تخل بالحياء والمروءة نستعرضها فيما يلي:

١ ـ عدم التأديب بحضرة الوالدين ورفع الصوت أمامهما.

٢ ـ عدم التأدب بحضرة أصحاب الفضل كالعلماء والمعلمين، بل يزداد الأمر سوءاً عند محاولة تسفيه آرائهم، أو محاولة إظهار التفوق أمامهم.

٣ ـ عدم الالتزام بالحجاب الشرعي المتميز عند خروجها من بيتها علاوة على خروجها متعطرة متشبهة بالرجال واضعة عباءتها على كتفها متناسية قول النبي ﷺ: **«إن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا ـ يعني زانية»** [رواه الترمذي، ٢٧٨٦، وحسنه الألباني ـ رحمه الله ـ].

٤ ـ لبس البنطال والثياب الضيقة والشفافة والمفتوحة والقصيرة في المناسبات وخاصة حفلات الزفاف، بحجة أنهن بين النساء وليُعلم مدى تطورهن وتقدمهن، فهن والله متقدمات بحق ولكن نحو

الهاوية.

٥ ـ لبس البلوزات والفساتين التي فيها صور الرجال أو النساء أو الحيوانات أو اشتمالها على بعض العبارات الساقطة.

٦ ـ تبادل المجلات الخليعة وأشرطة الفيديو.

٧ ـ التدرب على الرقص والحركات التي لا تليق بالمرأة المسلمة.

٨ ـ تعليق صور المشهورين من اللاعبين والفنانين والتعلق بهم متناسية قوله ـ ﷺ: **«الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»** [رواه الترمذي، ٢٣٧٨، وحسنه الألباني ـ رحمه الله ـ].

٩ ـ إفشاء الأسرار الزوجية بحجة إخبار الصديقة المخلصة، ولا تعلم أنها بذلك التصرف السيىء أصبحت من أشر الناس الذين قال عنهم المصطفى ـ ﷺ: **«إن من أشرّ الناس يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه»** [رواه مسلم].

١٠ ـ التكشف أمام السائق والخادم ـ ومخاطبتهم كأنهم من المحارم.

١١ ـ تبادل صور المناسبات بحجة الاحتفاظ بها للذكرى.

١٢ ـ ملاطفة النساء لأصحاب المعارض في السوق والتلين في العبارات.. كأنهن لم يسمعن قول المولى ـ عز جل ـ: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

١٣ ـ تبادل رسائل الحب والغرام بين الطالبات.

١٤ ـ سير بعض الطالبات في الممرات بعضهن نحو بعض بطريقة يمقتها الذوق السليم.

١٥ ـ رفع الصوت والضحك بطريقة عجيبة وإصدار بعض الحركات غير اللائقة قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

الوقفة الأخيرة:

أختاه: اعتزي بدينك فهو مجدك، وكوني قدوة صالحة للجميع: لأهلك وأخواتك وأبنائك وجيرانك، أخلصي في انتمائك لأمتك المجيدة وكوني أمة لله صالحة واعلمي أن دورك في بناء الأمة عظيم، فقومي به ولا تكوني وسيلة للهدم والدمار، بل كوني صانعة العز، فأنت مدعوة إلىٰ العودة لله والتمسك بدينه والاتباع الصحيح لسنة نبيه ـ ﷺ ـ وذلك بصدق الانتماء إلىٰ أمة الإسلام بالبذل والتضحية لبناء جيل مسلم رشيد يحمل بجد وقوة شعلة الإيمان، ليضيء بها دورب القلوب الغافلة عن ذكر الله.

قوتك في صبرك
وتضرعك إلى الله

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾ [ص: ٤١ ـ ٤٤].

الوقفة الأولى:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾: الخطاب في قوله: ﴿وَاذْكُرْ﴾ للنبي ﷺ، ويجوز أن يكون موجهاً لكل من يتأتىٰ له الخطاب: ﴿عَبْدَنَا﴾ أي المتذلل لطاعة ربه وهي من العبودية الخاصة وهي عبودية الرسالة.

الوقفة الثانية:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾: أي دعا ربه شاكياً إليه لا إلىٰ غيره بصوت مرتفع؛ لأن النداء يكون بالصوت المرتفع بعكس المناجاة فهي بالصوت المنخفض.

الوقفة الثالثة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾: أي أن الشيطان قد آذاه بأمر شاق متعب مؤلم، ولكن هل هو إيذاء نفسي بأن ألقىٰ في قلبه الوساوس التي أنهكت بدنه، أو أنه داء حسي،

فسلط على جسده فنفخ فيه، حتى تقرح ثم تقيح بعد ذلك؟

الله أعلم يحتمل هذا وهذا، وقد نُسب للشيطان لأنه هو المباشر للعلة وهو السبب لكن تسلطه كان بقضاء الله وقدره ولحكمة أرادها.

الوقفة الرابعة:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: وحينما نادى أيوب ـ عليه السلام ـ الله ـ عز وجل ـ وتضرع إليه وعلم أنه لا ملجأ من الله إلا إليه حينئذ جاءه الفرج، فقيل له: ﴿ارْكُضْ﴾ أي اضرب برجلك الأرض، لينبع لك منه عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك فذهب عنه الأذى وشفاه الله، وأبيح له أن يغتسل ويشرب من الماء البارد الذي نبع من الأرض مع أن الغالب أن يكون ساخناً لكنه صار بارداً فاغتسل به فذهب الداء من ظاهره وشرب منه فذهب عنه كل داء كان بباطنه بقدرة الله وإرادته.

الوقفة الخامسة:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قيل: إن الله أحيا له من مات من أولاده ورزقه مثلهم أي أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَوَهَبْنَا﴾ الهبة بمعنى الإحياء ويقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ(ولكن في هذا نظر لأن الإحياء يحتاج إلى ثبوت الإماتة من قبل، وليس في الآية ما يدل على هذا بل إن الله وهب إليه أهله حيث أووا إليه بعد أن شردوا منه بسبب مرضه النفسي والبدني وعجزوا أن يعيشوا معه، فلما عافاه الله آوى إليه أهله فتكون هذه الهبة إعادة موهوب

سبق) وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي أغناه وأعطاه مالاً عظيماً ورزقه الله الأولاد فبارك فيهم.

الوقفة السادسة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي رحمة من الله بعبده أيوب ـ عليه السلام ـ حيث صبر، فأثابه الله من رحمته ثواباً عاجلاً وآجلاً، وكذلك عظة لأولي العقول الصحيحة لكن بأي شيء يتذكرون؟.

١ ـ أن المصائب قد تكون علىٰ الرسل وعلىٰ غيرهم.

٢ ـ أن الشيطان قد يسلط علىٰ الأنبياء.

٣ ـ يتذكرون أن الله يجيب دعوة المضطرين إليه إذا صدق الإنسان في دعوته ولجأ إلىٰ ربه ودعاه، نسأله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يرزقنا الصدق معه.

٤ ـ كلما اشتد الكرب فانتظر الفرج، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] قال الرسول ﷺ: **«واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا»**.

٥ ـ أن زوال كرب ـ أيوب عليه السلام ـ كان علىٰ يده؛ لأن الله لم ينزل له شفاء دون سبب ظاهر، بل بسبب هو الذي باشره، فقيل له: (اضرب) فخرج الدواء وقيل: (اغتسل) فعالج نفسه وعَرَفَ كيفية استخدام الدواء.

الوقفة السابعة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾: الضغث هو حزمة من الحشيش، والحنث: أصله الإثم قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة] والمراد به هنا: إلا يبر بيمنه، وعدم البر باليمين تكون: أن يترك ما حلف علىٰ فعله أو يفعل ما حلف علىٰ تركه قال أهل العلم: يؤخذ من هذا أن عدم إبرار اليمين مكروه إلىٰ الله؛ لأنه يسمىٰ حنثاً، لكن من نعمة الله أنه رخص للعباد بفعله وذلك بالكفارة.

قال **المفسرون:** وكان في مرضه وضره، وقد غضب علىٰ زوجته في بعض الأمور، فحلف، لئن شفاه الله، ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه الله، وكانت امرأة صالحة محسنة إليه، فرحمه الله ورحمها، فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمروخ ضربة واحدة، فيبر في يمينه وهذا تسهيل من الله له ولأهله.

الوقفة الثامنة:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: أي أن الله ـ تعالىٰ ـ وجد أيوب ـ عليه السلام ـ صابراً علىٰ أقدار الله وهو ما ابتلاه الله به من ضر، وصابراً عن المعصية فهو لم يتسخط، وصابراً علىٰ طاعة الله لأنه لجأ إليه ودعاه فأجابه.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ فهو نعم العبد الذي كمل

مراتب العبودية لله، في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء، وكان عليه السلام أوّاباً إلىٰ الله كثير الرجوع إليه في مطالبه الدينية والدنيوية كثير الذكر لربه والدعاء والمحبة وما صدر منه فهو دعاء وإظهار فقر وحاجة إلىٰ ربه لا شكوىٰ وجزع.

الوقفة الأخيرة:

إن قصة أيوب ـ عليه السلام ـ من القصص التي تزيد فيها المتزيدون، واستغلها القصاصون، وأطلقوا فيها لخيالهم العنان، فقد رووا فيها ما عصم الله أنبياءه عنه، وصوروه بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله، وقد رووا قصة أيوب عليه السلام في بضع صحائف التبس فيها الحق بالباطل والصدق بالكذب وفيه دلالة علىٰ أن معظم ما روي في قصته ـ عليه السلا م ـ مما أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا وجاء القصاصون المولوعون بالغرائب فزادوا فيها، وأذاعوا حتىٰ اتخذ منها المتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس واستدرار عطفهم، قال ابن العربي: (ولم يصح عن أيوب ـ عليه السلام ـ في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين: الأولىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الانبياء] والثانية: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: **«بينا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب»** الحديث.

وإذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه فمن الذي يوصل

السامع إلىٰ أيوب خبره، أم علىٰ أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات إذا كانت تخالف أساسيات وثوابت في الشريعة فهي مرفوضة عند العلماء بالإجماع، فأعرض عن سطورها بصرك، وأصم عن سماعها أذنيك؛ فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً.

تقوى الله.. زاد المتميزة في طريقها إلى الله

التقوىٰ وصية جامعة، أوصىٰ الله ـ تعالىٰ ـ بها خلقه الأولين والآخرين قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وقد وصىٰ النبي ﷺ أصحابه بها، فإذا بعث أميراً علىٰ سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوىٰ الله، وبمن معه من المسلمين خيراً، كما أوصىٰ بها أمته في خطبة الوداع، ولما وعظ الناس قالوا له: كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: **«أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة»**.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»**.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: **«اللهم إني أسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ»**.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه سئل ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: **«تقوىٰ الله وحسن الخلق»** فهذه الوصية وصية شرعية جامعة لحقوق الله وحقوق عباده فإن حق الله علىٰ عباده أن يتقوه حق تقاته وقد اقتدىٰ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن بعدهم بالنبي ﷺ فكانوا يتواصون بالتقوىٰ، وكان أبوبكر ـ رضي

الله عنه ـ لما حضرته الوفاة أوصىٰ عمر ـ رضي الله عنه ـ بالتقوىٰ.

واهتمام السلف بالتواصي بالتقوىٰ يبين أهميتها ومالها من أثر عظيم علىٰ الأعمال والأقوال، فهي تغير مسار حياة العبد حتىٰ يحقق العبودية لله، فلا يأتمر إلا بأمر الله ورسوله، ولا ينتهي إلا بنهي الله ورسوله، فيكون قلبه وعقله متجهاً إلىٰ الله ليلاً ونهاراً سراً وعلانية وعلىٰ كل حال.

الوقفة الأولى:

تعريف التقوىٰ لغة: التقوىٰ مأخوذة من (و ق ىٰ) التي تدل علىٰ دفع شيء عن شيء بغيره، وقيل: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره.

وتعريفها اصطلاحاً: وأصل التقوىٰ أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوىٰ العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه تقية من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.

والتقوىٰ كذلك أن يتخذ الإنسان ما يقيه من عذاب الله، والذي يقيك من عذاب الله فعل أوامر الله واجتناب نواهيه قال العلامة: (ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ).

الوقفة الثانية:

أقوال في التقوىٰ:

قال عمر بن عبد العزيز: ليس تقوىٰ الله بصيام النهار ولا بقيام

الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوىٰ الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خير فهو خيراً إلىٰ خير وقال طلق بن حبيب: التقوىٰ أن تعمل بطاعة الله علىٰ نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله علىٰ نور من الله تخاف عقاب الله، وقال ابن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران] قال: أن يطاع فلا يعصىٰ، وأن يذكر فلا ينسىٰ، وأن يشكر فلا يكفر.

قال ميمون بن مهران: المتقي هو الذي يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الصحيح لشريكه.

الوقفة الثالثة:

أعلىٰ درجات التقوىٰ: قال ابن رجب: ويدخل في التقوىٰ الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات: وهي أعلىٰ درجات التقوىٰ.

الوقفة الرابعة:

ما يعين علىٰ التقوىٰ: قال ابن رجب: (والمقصود أن النبي ﷺ لما وصىٰ معاذاً بتقوىٰ الله سراً وعلانية أرشده إلىٰ ما يعينه علىٰ ذلك، وهو أن يستحي من الله كما يستحي من رجل ذي هيبة من قومه، ومعنىٰ ذلك أن يستشعر دائماً بقلبه قرب الله واطلاعه عليه، فيستحي من نظره إليه، وقد امتثل معاذاً ما وصاه به النبي ﷺ).

الوقفة الخامسة: صفات المتقين:

١ ـ قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾ [البقرة].

٢ ـ قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ [البقرة].

٣ ـ قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)﴾ [آل عمران].

قال ابن رجب: وصف المتقين بمعاملة الخلق بالإحسان إليهم بالإنفاق وكظم الغيظ والعفو عنهم، فجمع بين وصفهم ببذل الندىٰ

واحتمال الأذىٰ، وهذا غاية حسن الخلق الذي وصىٰ به النبي ﷺ لمعاذ، ثم وصفهم بأنهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ولم يصروا عليها فدل ذلك أن المتقين قد يقع منهم أحياناً كبائر وهي الفواحش، وصغائر وهي ظلم النفس، ولكنهم لا يصرون عليها، بل يذكرون الله عقب وقوعها، ويستغفرونه ويتوبون إليه منها، والتوبة: هي ترك الإصرار ومعنىٰ قوله: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ ذكروا عظمته وشدة بطشه وانتقامه وما يوعد به علىٰ المعصية من العقاب، فيوجب لهم ذلك الرجوع في الحال والاستغفار وترك الإصرار وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ [الأعراف].

عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»** ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾.

الوقفة السادسة:

القول السديد من التقوىٰ:

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠)﴾ [الأحزاب].

القول السديد هو القول الصواب الذي يشمل كل قول فيه خير،

سواء كان من ذكر الله أو من طلب العلم أو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو من الكلام الحسن الذي يستجلب به الإنسان مودة الناس ومحبتهم.

وفائدة القول السديد صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب، فإنّ من لم يتق الله ويقل قولاً سديداً فإنّه حري بأن لا يصلح الله له أعماله ولا يغفر ذنبه.

الوقفة السابعة:

ثمرات التقوىٰ:

الوعد بالرزق الواسع قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

فإذا كنت متقياً لله فثق أن الله ـ جل وعلا ـ سيجعل لك مخرجاً، سواء كان في معيشة أو أموال أو في أولاد في مجتمع أو غير ذلك ومما يدل علىٰ ذلك قصة الثلاثة الذي انطبق عليهم الغار.

تكفير الذنوب وتعظيم الأجر قال ـ سبحانه ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال].

ففي هذه الآية ثلاث فوائد عظيمة:

أولاً: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي يجعل لكم ما تفرّقون به بين الحق والباطل والضار والنافع، وهذا يدخل فيه العلم، حيث يفتح الله

على الإنسان من العلوم مالا يفتحها لغيره، فإن التقوىٰ . . يحصل بها زيارة الهدىٰ والعلم والحفظ.

ثانياً: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وتكفير السيئات يكون بالأعمال الصالحة فإنّ المتقي يسهل الله له الأعمال الصالحة التي يكفر بها عنه.

ثالثاً: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بأن ييسر لكم الاستغفار والتوبة فإنّ هذه من نعم الله علىٰ العبد، ويسهل له الإقلاع عن الذنوب حتىٰ يغفر له، وربما يغفر له بسبب تقواه تكفيراً لسيئاته، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

- الله ولي المتقين: قال - تعالىٰ -: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية].

- اليسر والسهولة في الأمر قال - تعالىٰ -: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وقال أبو ذر: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ ثم قال: «**يا أبا ذر: لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم**».

ولهذا قال بعض السلف: (ما احتاج تقي قط، فقد ضمن الله للمتقين مخرجاً مما يضيق علىٰ الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيقيهم من كل شر، ويعطيهم من كل خير.

والآيات في ذلك عديدة منها قوله - تعالىٰ -: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق].

وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) ﴾ [الدخان].

وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) ﴾ [النبأ].

وقوله ـ تعالىٰ: ـ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾ [القمر].

ـ محبة الله للمتقين: قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) ﴾ [التوبة].

إن تحقيق التقوىٰ طريق لولاية الله تعالىٰ ولاية الله من أعظم ثمرات التقوىٰ، وهي من أهم صفات عباد الرحمن لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) ﴾ [يونس].

الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)﴾ [الحديد].

الوقفة الأولى:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ يخبر ـ سبحانه ـ عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها، وغاية أهلها ويهون من أمرها ويحقرها، وأن الأمور المذكورة من اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر متاع معجل وهو حاصل لأهلها، كما قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)﴾ [آل عمران].

فاللعب يكون بالجوارح، كأن يعمل الإنسان أعمالاً تصده عن ذكر الله وعن الصلاة وأما اللهو بالقلوب فهو الغفلة وهذا أشد وأعظم ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ وهي تفقد الإنسان جميع لذات

الطاعة وتحرمه من جميع آثارها المترتبة على الذكر من صلاح القلب والإنابة إلى الله، وينقصه الثواب لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨] لم يقل لا تطع من أسكتنا لسانه، وما أكثر الذكر باللسان مع الغفلة بالجنان!

أما الزينة ففي الناس والطعام والشراب والمراكب، والدور والقصور، وغير ذلك.

وهذا مصداقه ما هو واقع من أبناء الدنيا، فهم قطعوا أوقات عمرهم بلهو قلوبهم وغفلتهم عن ذكر الله، واتخذوا دينهم لعباً ولهواً بخلاف أعمال الآخرة فإن قلوبهم معمورة بذكر الله ومعرفته ومحبته، وشغلوا أوقاتهم بالأعمال الصالحة التي تقربهم إلى الله.

الوقفة الثانية:

ومع هذا اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر هل تبقى هذه الدنيا؟ أبداً بل تزول.

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا وأنّها زهرة فانية ونعمة زائلة لأن الأمثال تقرب المعاني إذا أن المثل قياس المعاني إذ أن المثل قياس المعنى على المحسوس. فقال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ قال ابن كثير ـ رحمه الله: ـ والغيث هو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨] وذكر أكثر المفسرين أنه المطر الذي تنبت به الأرض وتزول به الشدة.

قوله تعالىٰ: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ أي النبات الناشيء عنه و﴿أَعْجَبَ﴾ واستحسنوه قيل المراد بالكفار: هم الزراع لأنّهم يكفرون البذر أي يغطونه بالتراب وقيل: هم الكفار بالله وقد جمع ابن كثير ـ رحمه الله ـ بين القولين فقال: أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار: فإنّهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، أمّا الشيخ ابن سعدي وتلميذه ابن عثيمين ـ رحمهما الله ـ فقد رجحا القول الثاني وهم الكافرون بالله ـ عز وجل ـ فهم الذين تعجبهم الدنيا ويفرحون بها وقلوبهم متعلقة بها ليس لهم هَمٌّ إلا ما يرام من زينتها وخصّهم بالذكر لأنّهم هم الذّين يستحسنون الدنيا، أما المؤمنون فلا يهمهم إلا ما فيه مصلحة الآخرة.

وذكر الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أنّ إطلاق الكفار علىٰ الزراع نادر جداً، هذا إن صح وقال ما نصه: (إن ما قررناه أولاً هو الصواب أنّ المراد بالكفار الكفار بالله).

الوقفة الثالثة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ أي ثم بعد ما يعجب الكفار ويستحسنونه ييبس ويجف بعد خضرة، ويصبح أصفر ذابلاً بعد أن كان أخضر فماذا كانت النتيجة لهذا الزرع؟ التلف والزوال، فهذه حال الدنيا، تزهو للإنسان بنعيمها وقصورها ومراكبها وأموالها وأولادها وإذا بها تتحطم.

يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ (كذلك الدنيا بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة مهما أراد من مطالبه حصّل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة إذا أصابها القدر فأذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، ولم يتزود منه سوىٰ الكفن فتباً لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه، وأمّا العمل للآخرة فهو الذي ينفع ويدخر لصاحبه ويصحب العبد علىٰ الأبد) أهـ.

وذكر الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أنه ينبغي للعاقل أن يعلم أنه لابد من أحد أمرين: إما أن تفارقك الدنيا وإما أن تفارقها، هذا حال الدنيا، وهذا أمر لا يشك فيه، لكن النفوس معها غفلة، يسهو بها الإنسان عن مثل هذا الأمر الواقع، ويظن أن كل شيء علىٰ ما يرام ويستبعد زوال الدنيا أو زواله هو عن الدنيا.

الوقفة الرابعة:

لما كان هذا المثل دالاً علىٰ زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغّب فيما فيها من الخير فذكر ما أعده ـ سبحانه ـ للعصاة في الدار الآخرة ثم اتبعه بما أعده لأهل طاعته فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي وفي الآخرة عذاب شديد للكفار الذين آثروا الدنيا علىٰ الآخرة: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ أي لأهل

الإيمان بالله ورسله؛ لأنّهم لم يؤثروا عليها الدنيا، وهذا كله مما يدعو إلىٰ الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي وما زينة الحياة الدنيا المعجلة إلا متاع يتمتع به وينتفع به ويطمئن إليه أصحاب العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور، قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمن لم يشتغل لطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع إلىٰ ما هو خير منه.

الوقفة الخامسة:

ثم ندب ـ سبحانه ـ عباده إلىٰ ما يوجب المغفرة من التوبة والعمل الصالح فإنّ ذلك سبب إلىٰ رضوان الله والفوز بجنته فقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي سابقوا إلىٰ عمل يدخلكم الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، وذلك بفعل أسباب المغفرة، ومنها أن تسأل الله المغفرة تقول: اللهم اغفر لي أو تقول: استغفر الله وأتوب إليه، ومن أسبابها: فعل ما تكون به المغفرة، كقول النبي ﷺ: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدم من ذنبه»** وكقوله ﷺ: **«من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلىٰ ركعتين لا يحدث بها نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه»** وكقوله ﷺ: **«من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»** والأمثلة علىٰ هذا كثيرة، فالمسابقة إلىٰ المغفرة: ما تحصل به المغفرة، ففي هذه الآية أمر المسابقة وهي شدة العدو في حال السير وبين

المسارعة وهي المبادرة إلىٰ فعل الخير.

والجنة هي: دار النعيم التي أعدها الله للمتقين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

الوقفة السادسة:

قوله تعالىٰ: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ وفي سورة [آل عمران]: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾ [آل عمران] لا منافاة عن الأول فكلاهما تشبيه لكن الثاني يسميه أهل البلاغة تشبيهاً بليغاً فمن يستطيع أن يقدر عرض السماء والأرض؟ لا أحد يستطيع.

الوقفة السابعة:

والسؤال لمن هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض؟ لمن أعدت؟ قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)﴾ [التوبة] ومعنىٰ الإعداد: التهيئة للشيء: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فهم آمنوا بالله وكل ما أوجب الله الإيمان به، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وقوله: ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يشمل جميع الرسل.

الوقفة الثامنة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي ما أعده الله للمؤمنين بالله ورسله، وفضل الله في أنهم آمنوا بالله

ورسله واتبعوا الرسول ﷺ، فأثيبوا بهذه الجنات.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ وهذه المشيئة مقترنة بالحكمة أي من كان أهلاً للفضل آتاه الله الفضل، فمتىٰ علم الله في قلب المؤمن الخير آتاه الخير. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال] فأصلح قلبك فيما بينك وبين الله تجد الخير كله.

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي هذا الذي بيناه لكم، وذكرنا الطرق الموصلة إلىٰ الجنة، من أعظم منه علىٰ عباده وفضله.

ففضله عظيم لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه.

الوقفة الأخيرة:

أختي المسلمة: هل سبق لك أن قرأت الآيتين السابقتين من سورة الحديد؟ أنا سأجيبك: لا شك في ذلك، بل مراراً فأنت مسلمة تؤمنين بأن القرآن كلام الله أنزله علىٰ نبيه ﷺ وتعبدنا بقراءته.

هل تأملت الآيتين جيداً، وعرفت معانيهما؟ أنا لن أجيبك لأني لا أعلم، وسأطرح عليك بعض الأسئلة لكي تقرري:

ـ هل ألهتك هذه الدنيا الفانية عن الآخرة الباقية؟ هل جعلت

الدنيا معبراً أم مستقراً؟

- وهل اتخذت الوسائل التي توصلك بإذن الله إلى دار كرامته؟

- إذا رأيت من يكاثر بالأموال والأولاد، هل تنافسينه بالأعمال الصالحة؟

- ابنك البالغ يفتخر بهاتفه المحمول ذي الرقم المميز والذي اشتراه بمبلغ باهظ، هل همست بأذنه أن الدنيا غيث أعجب الكفار نباته؟

- زوجك مسرور بسيارته الفاخرة، هل مددت يدك إليه وذكرته بالجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض ولمن أعدها الله؟

- ابنتك الصغيرة أو البالغة تهتم بالماركات العالمية، وتشغل ذهنها ووقتها بل وصحتها بها، هل أخبرتها أن الدنيا متاع الغرور؟

- التفتي إلى نفسك يمنة ويسرة إذا دعيت لحفل زواج بم تفكرين؟ هل تفكرين بأناس عراة لا يجدون ما يسترهم؟ أم تبحثين عن لباس معين يبرز مفاتنك ويعريك أمام (النساء فقط) بلا حياء من خالقك؟

- إذا رأيت من تجرأت على المعاصي فارتكبتها؟ هل تنصحينها بقلب يغار أن تنتهك محارم الله؟ وبقلب يشفق على أخواتها المسلمات؟

أجيبي على هذه التساؤلات بسرعة، واحكمي على نفسك، ثم اكتشفي هل أنت ممن تعلق بالدنيا وأحبها؟.

ألا نستشعر قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: **«كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»**.

اعلمي أُختي: أن من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة لايفوته شيء من نعيم الدنيا، دليله من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٩٧)﴾ [النحل] لم يقل لنكثرن ماله وأولاده وقصوره بل حياة طيبة مطمئنة مستريح البال فيها، وقد بين النبي ﷺ ذلك بقوله: **«عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له»**.

الثقة في وعد الله.. ونصره لأوليائه

إن نصر الله لأوليائه في كل زمان ومكان وأمة انتصار للحق وذلة للباطل وأخذ للمتكبر ونعمة على المؤمنين إلى يوم القيامة؛ لأنهم يسرون بذلك وينعمون به.

وقصة موسى ـ عليه السلام ـ من أطول القصص القرآني، وسنلقي الضوء على مشهد رائع في هذه القصة: مشهد التنفيذ، والموقف الحاسم والمشهد الأخير في قصة التحدي والتكذيب.. والسياق في سورة يونس يعرضه مختصراً مجملاً؛ لأن الغرض من سياقه في هذه السورة هو بيان هذه الخاتمة. ففيه بيان رعاية الله وحمايته لأوليائه، وإنزال العذاب والهلاك بأعدائه الذين يغفلون عن آياته.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨٩) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)﴾ [يونس].

الوقفة الأولى:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ الزينة هي ما يتزينون به من أنواع الحلي والثياب، والبيوت المزخرفة، والمراكب الفاخرة والخدم والآنية والأثاث، وغيرها من متاع الدنيا. فإنّ أموالهم العظيمة يستعينون بها علىٰ الإضلال في سبيلك فيضلون الناس ويضلون أنفسهم.

الوقفة الثانية:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ قال مجاهد: أهلكها.

والطمس: المحو. قال الزجاج: طمس الشيء إذهابه. عن صورته، والمعنىٰ: الدعاء عليهم بأن يمحق الله أموالهم ويهلكها، ويتلفها إما بالهلاك، أو يجعلها حجارة غير منتفع بها، أي اطبع عليها حتىٰ لا تلين ولا تنشرح للإيمان، أي اجعلها قاسية مطبوعة لا تقبل الحق ولا تنشرح للإيمان.

فإنّ موسىٰ ـ عليه السلام ـ قال ذلك غضباً عليهم، حيث تجرءوا علىٰ محارم الله فانتهكوها، وأفسدوا عباد الله وصدوا عن سبيله، ولكمال معرفته بربه بأنّ الله سيعاقبهم علىٰ مافعلوا بإغلاق باب الإيمان عليهم.

الوقفة الثالثة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ونسب الدعاء إليهما والدعاء كان من موسىٰ؛ لأنه روي أنّ موسىٰ كان يدعو وهارون يؤمن، والتأمين دعاء. وأمرهما ـ سبحانه ـ أن يستقيما علىٰ الدين وأن يستمرا علىٰ الدعوة.

الوقفة الرابعة:

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أمر الله موسىٰ ـ عليه السلام ـ أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، وأخبره أنهم سيتبعونه، وأرسل فرعون في المدائن حاشرين. يقول: ﴿نَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي موسىٰ وقومه: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤)﴾ [الشعراء] فجمع جنوده، قاصيهم ودانيهم فأتبعهم فرعون بجنوده ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠] أي فلحقهم وأدركهم ـ لا اهتداء وإيماناً إنما بغياً علىٰ موسىٰ عليه السلام وقومه ـ إلىٰ ساحل البحر، ومن ورائهم فرعون وجنوده أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق ـ بإذن الله ـ اثني عشر طريقاً، صار هذا الماء السيال بينهما ثابتاً كأطواد الجبال، فدخل موسىٰ وقومه يمشون بين جبال الماء في طرق يابسة أيبسها الله بلحظة آمنين، فلما تكاملوا خارجين وتبعهم فرعون بجنوده داخلين أمر الله البحر أن يعود إلىٰ حاله

فانطبق على فرعون وجنوده حتى غرقوا عن آخرهم.

ومن مشهد البغي والعدو ومباشرة إلى مشهد الغرق في ومضة، وقد عاين الموت، ولم يعد يملك نجاة، وجزم بهلاكه ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهو لا يكتفي بأن يعلن إيمانه بأن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل. فيزيد في الاستسلام ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

أي المنقادين لدين الله ولما جاء به موسى، قال الله ـ تعالى ـ مبيناً أنّ هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع له: ﴿آلآنَ﴾ تؤمن وتقر ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي بارزتَ بالمعاصي والكفر والتكذيب ﴿وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

قال **ابن كثير** ـ رحمه الله ـ في البداية والنهاية: (يخبر ـ تعالى ـ عن كيفية غرق فرعون زعيم كفرة القبط، وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه أخرى وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسيم ليكون أقر لأعين بني إسرائيل وأشفى لنفوسهم فلما عاين فرعون الهلكة وأحيط به وباشر سكرات الموت أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفساً إيمانها كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٩٧)﴾ [يونس].

الوقفة الخامسة:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾. ﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي نلقيك على نجوة من الأرض

وهي المكان المرتفع وذلك أن بني إسرائيل لم يصدقوا أنّ فرعون غرق، وقالوا: هو أعظم شأناً من ذاك، وقيل المعنى: نخرجك مما وقع فيه قومك من الرسوب في قاع البحر ونجعلك طافياً ليشاهدوك ميتاً بالغرق.

فلم تأكله الأسماك ولم يذهب مع التيار منكراً لايُعرف للناس ذلك؛ ليدرك من خلفه كيف كان مصيره ليتعظوا ويروا عاقبة الطغاة المكذبين.

الوقفة السادسة:

سئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ عن تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ فلماذا بقي فرعون من بين الطواغيت والجبارين؟ وأين محل غرقه؟ وأين يوجد هذا الجسد الآن؟ وهل يستحب النظر إليه؟.

فأجاب: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره من السلف: إنّ بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه جسداً بلا روح وعليه درعه المعروف على نجوة من الأرض ـ وهو المكان المرتفع ـ ليتحققوا من موته وهلاكه.. انتهى.

وقال: ومعنى قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ لتكون لبني إسرائيل دليلاً على موتك وهلاكك وأنّ الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده، لايقدر أحد على التخلص من عقوبته، ولو كان ذا

سلطة ومكانة بين الناس، ولا يلزم من هذا أن تبقى جثة فرعون إلى هذا الزمان، كما يظنه الجهال، لأن الغرض من إظهار بدنه من البحر معرفة هلاكه وتحققه، ذلك لمن شك فيه من بني إسرائيل وهذا الغرض قد انتهى وجسم فرعون كغيره من الأجسام يأتي عليه الفناء ولا يبقى منه إلا ما يبقى من غيره وهو عجب الذنب الذي منه يركب خلق الإنسان يوم القيامة، كما في الحديث، فليس لجسم فرعون ميزة على غيره من الأجسام. والله أعلم.

الوقفة السابعة:

إن نجاة نبي الله موسى عليه السلام وقومه وهلاك فرعون وجنوده في يوم عاشوراء، وهي نعمة تستوجب الشكر لله عز وجل كما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبي ﷺ: **«أنتم أحق بموسى منهم فصوموا»**.

الوقفة الثامنة:

إنّ للقصص القرآني فوائد عديدة منها: إيضاح أسس الدعوة إلى الله وفيها تثبيت قلب النبي ﷺ على دين الله، وإظهار صدقه في دعوته بما أخبرته به عن أحوال الماضين، ومنها تصديق الأنبياء السابقين، وكذلك ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه إذا علموا نجاة المؤمنين السابقين. قال تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧].

يوسف عليه السلام ـ مع امرأة العزيز
عفاف على مدى الزمن

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف]. المراد بأحسن القصص هو عام في كل ما قصه الله، ولم يخص به سورة يوسف، ولهذا قال: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ ولم يقل بما أوحينا إليك هذه السورة.

وإن الله ـ تعالىٰ ـ خص يوسف بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ: (ففيها آيات وعبر منوعة لكل من يسأل ويريد الهدىٰ والرشاد، لما فيه من التنقلات من حال إلىٰ حال، ومن محنة إلىٰ محنة، ومن منة إلىٰ منة، ومن ذلة ورق إلىٰ عز وملك، ومن فرقة وشتات إلىٰ اجتماع وإدراك للغايات، ومن حزن وترح إلىٰ سرور وفرح، ومن رخاء إلىٰ جدب، ومن جدب إلىٰ رخاء، ومن ضيق إلىٰ سعة.

إلىٰ غير ذلك مما اشتملت عليه هذه القصة العظيمة، فتبارك من قصها ووضحها وبينها) أهـ.

وسوف نتعرض لجزء يسير من قصة النبي الكريم من خلال هذه

السورة لننهل منها العبر والحكم، ولنوضح أن هناك مرويات غثة مكذوبة يأباها النظم الكريم ويحزم العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء ويخجل القلم عن تسطيرها، وهذه الأقوال التي أسرف بعض المفسرين في ذكرها إما إسرائيليات وخرافات أراد واضعوها النيل من عصمة الأنبياء والمرسلين، وإما أن تكون مدسوسة حاكها أعداء الدين ليصلوا إلى ما يريدون من إفساد العقائد وتعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصلية الصحيحة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ

وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥) ﴾ [يوسف].

الوقفة الأولى:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾. هنا المحنة الثانية في حياته ـ عليه السلام ـ وهي أشد وأعمق من المحنة الأولىٰ، تجيئه وقد أوتي صحة الحكم وأوتي العلم، يواجهها وينجو منها جزاء إحسانه الذي سجله له القرآن، ويخبر ـ تعالىٰ ـ عن امرأة العزيز التي يوسف في بيتها بمصر، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾.

﴿ وَرَاوَدَتْهُ ﴾ المراودة: المطالبة، ولم يصرح القرآن باسمها إما للمحافظة علىٰ السر أو للاستهجان في ذكره وفي إيراد الاسم الموصل تقرير للمراودة بأنه كان في بيتها.

﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ وصار المحل خالياً، وهما آمنان من دخول أحد عليهما بسبب تغليق الأبواب جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الأفعال قيل: كانت سبعة لذلك، وقيل: للمبالغة في الإيثاق.

وقد دعته إلىٰ نفسها: ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ أي هلم أو أقبل إلي

: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي أعوذ بالله معاذاً مما دعوتني إليه ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ تعليل للامتناع الكائن منه ببعض الأسباب التي هي أقرب إلىٰ فهم امرأة العزيز فإن العزيز هو الذي رباني وأحسن مثواي. فكيف أخونه في أهله وأجيبك إلىٰ ما تريدين من ذلك ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ تعليل آخر للامتناع منه عن إجابتها والمعنىٰ إنه لا يظفر الظالمون بمطالبهم، ومن جملة الظالمين الواقعون في مثل هذه المعصية التي تطلبها امرأة العزيز.

الوقفة الثانية:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾. ذكر المفسرون أقوالاً في المراد بالهم: فقيل: هو حديث نفس من غير عزم، وقيل هم بضربها، وقيل: تمناها زوجة.

وقد ذكر **الشيخ ابن عثيمين** ـ رحمه الله ـ أن هذه منقبة ليوسف ـ عليه السلام ـ أن ترك هذا الأمر لله مع قوة الداعي وانتفاء المانع، فلا يوجد ما يمنعه والداعي في حقه قوي لأنه رجل شاب ومع ذلك ترك هذا لله. . أما قول بعضهم أنها همت به لفعل الفاحشة، وهم أن يضربها فهو غلط لأنه لو ضربها في هذه الحال هل يقال إن الله صرف عنه السوء والفحشاء؟.

وقيل: إن ما حصل من هم يوسف كان خطرة، وحديث نفس

بمقتضىٰ الفطرة البشرية ولم يستقر ولم يظهر أثره . . قال البغوي في تفسيره :

الهمُّ همان : ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضىٰ مثل امرأة العزيز ، والعبد مأخوذ به ، وهمٌّ عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم ، مثل : هم يوسف ـ عليه السلام ـ والعبد غير مأخوذ به مالم يتكلم أو يعمل به : ﴿ لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ **المراد بالبرهان:** هو حجة الله الباهرة الدالة علىٰ قبح الزنا ، وهذا الشيء مركوز في فطر الأنبياء ومعرفة ذلك عندهم وصل إلىٰ عين اليقين ، وهو ما نعبر عنه بالعصمة ، وهي التي تحول بين الأنبياء والمرسلين وبين وقوعهم في المعصية .

الوقفة الثالثة:

قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يخبر ـ تعالىٰ ـ عن حالهما حين خرجا يستبقان إلىٰ الباب . . يوسف هارب ، والمرأة تطلبه ليرجع إلىٰ البيت فلحقته في أثناء ذلك ، فأمسكت بقميصه .

إن يوسف ـ عليه السلام ـ لما رأىٰ برهان ربه قام مبادراً إلىٰ باب البيت هارباً وتبعته المرأة لتمسك به حتىٰ لا يخرج ، فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها وشقت القميص من الخلف ، واستمر يوسف هارباً ذاهباً ، فألفيها سيدها

وهو زوجها، عند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها، وقالت لزوجها سابقة متنصلة وقاذفة يوسف بدائها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الوقفة الرابعة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)﴾. يوسف عليه السلام يبرأ نفسه مما رمته به من الخيانة وقال باراً صادقاً: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ ومنّ الله عليه بمعرفة الصادق منهما، تبرئة لنبيه وصفيه، فبعث شاهداً من أهل بيتها وهو رجل حكيم كان العزيز يستشيره في أموره، فشهد بقرينة من وجدت معه فهو الصادق فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ لأن ذلك يدل علىٰ أنه هو المقبل عليها، المراود لها وأنها أرادت أن تدفعه عنها فشقت قميصه من هذا الجانب: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧)﴾ لأن ذلك يدل علىٰ هروبه منها وأنها هي التي طلبته، فشقت قميصه من هذا الجانب، فلما رأىٰ قميصه قُدَّ من دبر عرف بذلك صدق يوسف وبراءته وأنها هي الكاذبة، فقال لها سيدها: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وهل أعظم من هذا الكيد الذي برأت به نفسها لما أرادت وفعلت، ورمت

به نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ ثم قال آمراً يوسف ـ عليه السلام ـ بكتمان ما وقع يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي الذي وقع منها من إرادة السوء بهذا الشاب، ثم قذفه بماهو برئ منه. استغفري من هذا الذي وقع منك: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

الوقفة الخامسة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

شاع الخبر وانتشر في البلد وتحدثت به النسوة، ولم يبين ـ سبحانه ـ عددهن ولا أسماءهنّ ولاصفاتهن، فجعلن يلمنها علىٰ هذا الأمر المستقبح فهي امرأة كبيرة القدر وكذلك زوجها ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه.

ومع هذا فإن حبه قد بلغ من قلبها مبلغاً عظيماً: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي وصل حبه إلىٰ شغاف قلبها هذا أعظم ما يكون من الحب: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ حيث وجدت منهاهذه الحالة التي لا ينبغي منها، وهي حالة تحط قدرها، وتضعها عند الناس، ولم يقلن إنها في ضلال فحسب بل وضلال مبين إشعاراً أن قولهن صادر عن علم ورأىٰ مع التلويح أنهن متنزهات عن أمثال ماهي عليه.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ وكان القول منهن مكراً ليس المقصود به

مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف الذي افتتنت به امرأة العزيز: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ تدعوهن إلى منزلها للضيافة: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ أي حضرت لهن محلاً مهيأ بأنواع الفرش والوسائد وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة وفي جملة ما أتت به طعام يحتاج إلى تقطيع بالسكين، ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾. وقالت ليوسف: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ في حالة جماله وبهائه وهم في حالة الاتكاءة والأكل والتقطيع: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ ورأين منظراً لم يشاهدن مثله: ﴿وَقَطَّعْنَ﴾ من الدهشة ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾ بتلك السكاكين اللاتي معهن، والقطع: هو جرح الأنامل وليس الإبانة: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً لله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ وذلك أن يوسف ـ عليه السلام ـ أُعطي من الجمال الفائق والبهاء ما كان آية للناظرين وعبرة للمتأملين.

الوقفة السادسة:

لما تقرّر عندهن جمال يوسف، وأعجبن به غاية العجب، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز، شيء كثير ـ أرادت أن تريهن جماله الباطن، بالعفة التامة ـ فقالت ـ هي تعذر نفسها ومعلنة بذلك، ومبينة لحبه الشديد، غير مبالية، ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ أي في حبه. ثم صرحت بما فعلت فقالت: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي امتنع، وإنما صرحت به لأن اللوم انقطع عنها من النسوة وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته.

ومازالت مقيمة على مراودته ولم تزدها مرور الأوقات، إلا قلقاً ومحبة وشوقاً لوصاله. ولهذا قالت بحضرتهن متوعدة إن لم يفعل ما تريده كاشفة لجلباب الحياء هاتكة لستر العفاف. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

الوقفة السابعة:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)﴾.

إن يوسف ـ عليه السلام ـ عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع أشد الامتناع اختار السجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال: أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته، هي امرأة عزيز مصر وهي مع هذا في غاية الجمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه. فهو استحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد. ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه. ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب فقال إني أخاف الله»** فقال: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ

﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: إن وكلتني إلىٰ نفسي فليس لي من نفسي قدرة ولا أملك لها نفعاً إلا بحولك وقوتك هذه هي دعوة الإنسان العارف ببشريته فيريد مزيداً من عناية الله يعونه علىٰ ما يعترضه من فتنة وكيد وإغراء. وفي هذا درس لكل شاب مسلم تعترضه الفتن أن يلجأ إلىٰ باب مولاه وأن يرفع أكف الضراعة إلىٰ ربه ليصرف عنه الفتن وأن يلازم الدعاء بذل وانكسار فهو السلاح القوي ضد الشيطان ومكائده. ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ حين دعاه: ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾. وهذا الصرف قد يكون بإدخال اليأس في نفوسهن من استجابته لهنّ، بعد هذه التجربة؛ أو بزيادة انصرافه عن الإغراء حتىٰ لا يحس في نفسه أثراً منه. أو بهما جميعاً ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعاء الداعي ويسمع الكيد ويعلم ما وراءهما، ﴿الْعَلِيمُ﴾. بالنيات الصالحة والضعيفة وهكذا اجتاز يوسف عليه السلام محنته الثانية بلطف الله ورعايته.

الوقفة الثامنة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥)﴾.

وهذه هي المحنة الثالثة من محن الشدّة في حياة يوسف، فكل ما بعدها رخاء. والمحنة هي السجن بعد ظهور البراءة. والسجن للبريء المظلوم أقسىٰ، وإن كان في طمأنينة القلب بالبراءة تعزية وسلوىٰ.

أي بعدما ظهرت الآيات على براءة يوسف عليه السلام ومنها قد القميص والشاهد وتقطيع الأيدي وظهر صدقه وعفته ونزاهته واشتهر الخبر وبان رأى العزيز وأصحابه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه حتى حين وهي مدّة غير معلومة لينقطع بذلك الخبر ويتناساه الناس. فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشيع مع وجود أسبابه فإذا عدمت أسبابه نسي، فرأوا أن هذا مصلحة لهم، فأدخلوه في السجن.

ولهذا لما طلبه الملك في آخر المدّة، امتنع عن الخروج حتى تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة، فلم يخرج من السجن لمواجهة الملك إلا في حالة براءته، وهيبته، ورفعته، وتعظيم منهم لعلمه وفضله، ونزاهته عليه السلام. فلما تقرر ذلك خرج وهو نقي العرض. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَت امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف].

الوقفة التاسعة:

أدلة براءة يوسف ـ عليه السلام ـ ذكرها القرآن فالله عزّ وجلّ شهد له فقال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ

عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ـ عليه السلام ـ شهد لنفسه فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ والمرأة شهدت ببراءته قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ زوجها شهد كذلك: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ والشهود أيضاً: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

الوقفة العاشرة: من الفوائد لهذه القصة:

أولاً: النفس أمارة بالسوء وأنها لا تخرج عن هذا الوصف إلا برحمة من الله وعناية منه، لأن النفس ظالمة جاهلة، والظلم والجهل لا يأتي منهما إلا كل شر، فإن رحم الله العبد ومنّ عليه بالعلم النافع وسلوك طريق العدل في أخلاقه وأعماله خرجت نفسه من هذا الوصف، وصارت مطمئنة إلىٰ طاعة الله وذكره، ولم تأمر صاحبها إلا بالخير ويكون مآلها إلىٰ فضل الله وثوابه. قال: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

فعلىٰ العبد إصلاح نفسه وإخراجها من هذا الوصف المذموم، وذلك بالاجتهاد وتخلقها بأحسن الأخلاق. وأن كثيراً من الدعاء المأثور: **«اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئ الأعمال والأخلاق، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»**.

ثانياً: أنه ينبغي للعبد أن يلتجيء إلىٰ الله عند خوف الوقوع في

فت المعاصي والذنوب مع الصبر والاجتهاد في البعد عنها، كما فعل يوسف ـ عليه السلام ـ ودعا ربه قال: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وإن العبد لا حول له ولا قوة ولا عصمة إلا بالله، فالعبد مأمور بفعل المأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور، مع الاستعانة بالملك الشكور.

﴿وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾

منذ زمن ليس بعيداً: وهم يشككون في ثوابتنا. ويطعنون في ديننا.. ويرددون شنشناتهم الأخزمية.. إن الإسلام ظلمها وهضم حقوقها.. عندما فرق بينها وبين أخيها الذكر.

الإسلام أغلاها وأعلاها.. بل وكرمها فلم يكلفها حتى بالإنفاق على نفسها.. فجعل لها من يقوم عليها.. وورثها ابنة وزوجة وأختاً وأماً.

تعريف الميراث: يمتاز هذا العلم من بين سائر العلوم بخصوصية في التسمية حيث أطلق عليه الفقهاء أسماء متعددة منها علم المواريث وعلم الفرائض.

والمواريث جمع ميراث، ويطلق في اللغة على معنيين:

أحدهما: البقاء ومنه سمي ـ سبحانه ـ (الوارث) أي الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وقال ـ جل شأنه ـ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر].

الثاني: انتقال الشيء من قوم إلى قوم آخرين. يقال ورثت فلاناً أرثه ورثاً وروثاً، إذا مات مورثك فصار ميراثه لك.

والميراث شرعاً: استحقاق الإنسان شيئاً بعد موت مالكه بسبب

مخصوص وشرط مخصوص.

وسمي هذا العلم بذلك لبقاء الوارث بعد مورثه، ولأن مالك المال وحوزته ينتقل بسبب الورث من طرف إلى آخر.

والفرائض لغة: جمع فريضة، بمعنى مفروضة: أي مقدرة، لأنها فعلية بمعنى مفعولة مشتقة من الفرض بمعنى التقدير، يقول سبحانه: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: قدرتم.

وفي الإصطلاح: نصيب مقدر شرعاً لمستحقه.

وسمي هذا العلم بذلك لأن أنصبة الورثة مقدرة ومعلومة، وكذا مقطوع بها في كتاب الله ـ عز وجل ـ ولأن هذه التسمية جاءت في القرآن والسنة قال تعالى في أثناء ذكر سهام الورثة: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١] وقال ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود: **«تعلموا الفرائض وعلموه الناس»**.

الوقفة الثانية: مشروعيته ومنزلته في الإسلام:

إن التوارث في الإسلام واجب بالكتاب والسنة والإجماع قال ـ تعالى ـ: ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧**﴾ [النساء] وقال جل شأنه في سورة النساء أيضاً: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«ألحقوا**

الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولىٰ رجل ذكر» وقد انعقد إجماع المسلمين في كل مكان وزمان علىٰ أن الميراث حق لذوي القربىٰ حسب مراتبهم وأنصبتهم وعملاً بقاعدة الغنم بالغرم، فالقريب مكلف بإعالة قريبه إذا احتاج والتضامن معه في الشدة فعدل إذاً أن يرثه حسب درجة قرابته.

هذا وقد حث النبي ﷺ علىٰ تعلم الفرائض وتعليمها في أحاديث كثيرة منها مارواه أبو داود ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ قال: **«العلم ثلاثة وما سوىٰ ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»**.

وفي ظل هذا النظام محافظة علىٰ الأموال ووضع الشيء في موضعه، وتكريم وإنصاف للمالك، فمن العوامل أن يذهب المال بعد وفاة صاحبه إلىٰ الجزء وهم أقرباؤه.

الوقفة الثالثة: العدالة المطلقة في التوريث ووجوب تطبيقها:

جاءت الشريعة الإسلامية فوضعت نظام التوريث علىٰ أحسن النظم المالية وأعدلها، وقررت ملكية الإنسان بالطرق المباحة، وشرعت انتقال ما يملكه في حياته إلىٰ ورثته بعد وفاته من الرجال والنساء متميزة بذلك عن كل الأنظمة الجاهلية قديماً وحديثاً، تلك الأنظمة التي حرمت طوائف تستحق العون والمساعدة وهم النساء والصغار، فقد كان التوريث معروفاً عند العرب قبل الإسلام ضمن

حدود ومعايير مجحفة في حق بعض أفراد الأسرة، ترتكز على قاعدتين هما النسب والسبب، فورثة الميت هم أقرب أوليائه فيبدأ بتوريث ابنه ثم الأقرب وهو الأب ثم الأخ وهكذا، فكان قاصراً على الذكور الكبار دون النساء والصبية؛ لأنهم لا يحملون السيف، ولا يردون المعتدي، ولا يحوزون الغنائم، فنظرتهم للأفراد حسب قيمتهم العملية في الحروب والإنتاج ونظام التوريث لديهم أن يتفق مع حياتهم الاجتماعية والسياسية ومع طرق تحصيل الأموال واكتساب الثروات.

أما السبب الذي يتوارث من أجله فهو الحلف (المعاقدة) والتبني.

أما المذاهب الوضعية المعروفة، ماركسية كانت أو رأسمالية وما يتفرع منهما فموقفهم من الميراث لا يختلف جوهره عن موقف العرب قبل الإسلام، إنما ألبس أقنعة سوداء وتستر بأسماء مختلفة فالماركسية ألغت الميراث تماماً بين أفراد المجتمع، ولم تعترف به وجعلت أموال الميت ملكاً للدولة أما الرسمالية فقد جعلت للمورث السلطان الكامل في ماله بعد وفاته، إن شاء أعطى أقاربه وإن شاء حرمهم بل له الحق أن يوصي بماله كله للقطط والكلاب.

وعيب هذين المذهبين أنهما طرحا الأسرة جانبا وأهملاها وأهدرا حقوق الورثة.

لكن الإسلام قد محى الظلم وثبت العدل بصورة تكفل لكل ذي

حق حقه، وتحفظ لكل فرد من أفراد الأسرة كرامته، وتصون له عزته، فهو ينظر إلى الإنسان أولاً، ثم ينظر إليه حسب تكاليفه الواقعة في محيط الأسرة والجماعة، فوقف موقفاً وسطاً بالنسبة للميراث و فق منهج رباني حكيم، يمتاز بالحق والعدل والرحمة، فهو لم يمنعه ولم يطلق الحرية للمالك يتصرف فيه كيف شاء ولمن شاء بل وفي القواعد الأساسية الثابتة التي تعطي للمالك حرية التصرف في بعض ماله كالوقف، والهبة، والوصية، والباقي للورثة ضمن شروط وحدود معينة لا يتعداها أحد، وفي ظل عدالة إلهية يتفيأ ظلها الجميع.

وبذلك تتميز الشريعة الإسلامية في تطبيقها للعدالة المطلقة في التوريث عن غيرها من الأنظمة، تلك العدالة التي تتجلى لنا من خلال تدبرنا لآيات المواريث وهي:

أ) إعطاء الميراث للأقرب الذي يعتبر شخصه امتداداً في الوجود لشخص المورث من غير تفرقة بين صغير وكبير مع مراعاة درجة القرابة منه، فأقرب الناس إلى الإنسان فروعه ثم أصوله ثم سائر عصبته وهم الذين يمتون إليه بجهة الأخوة والعمومة مع إعطاء كل من الزوج والزوجة ماله من نصيب في تركة شريكه في حياته بسبب ما كان يجمعها من العشرة والصلة الوثيقة في تكاليف الحياة.

ب) أن نظام التوريث في الإسلام يتجه إلى توزيع الثروة بين

الورثة توزيعاً عادلاً يحول دون تجمعها بأيد قليلة فلم يجعل وارثاً واحداً ينفرد بالتركة، ولم يجعلها للابن البكر، ولا للأبناء دون البنات، ولا للأولاد دون الآباء أيضاً لم يطلق حرية المورث ليخص بها من يشاء من أقاربه بل وزعها بعدل وإنصاف لا مثيل لهما، وبذلك فلا يكون للحسد والحقد والتباغض إلى قلب فرد من أفراد الأسرة طريق.

ج) ساوى الإسلام بين الأولاد الذكور في الميراث فلم يفضل الكبير على الصغير لأن صلتهم بالمورث واحدة، وإذا كان الصغير أكثر حاجة للمال ليقيم حياته ويؤمن مستقبله فإن الكبير قد يكون أكثر مسؤولية وبالتالي أمس حاجة والصغير مازال في مقتبل العمر، والطريق أمامه واسع ليعمل بجد ونشاط ويكون فيما ناله عن طريق الميراث حافز له على ذلك.

د) ملاحظة الحاجة فلما كانت الحاجة أشد كان العطاء أكثر، ولهذا فإن نصيب الأولاد أكثر من نصيب الأبوين؛ لأن الأولاد يستقبلون حياة جديدة تحتاج إلى إنفاق، فهم أكثر حاجة من الأبوين اللذين يستدبران الحياة، وأيضاً فإن نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى؛ لأن أعباء الرجل المالية أكبر من أعباء المرأة.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى خصوم الإسلام، فقد اتخذوا من هذا التفاوت بين نصيبي الذكر والأنثى مطعناً في

الإسلام، من جهة أن فيه إهداراً لحق بنوة الأنثى المساوية تماماً في نسبتها إلى المورث لبنوة الذكر وقالوا: إن ذلك من الظلم الواقع على كاهل المرأة.

ونقول لهؤلاء وغيرهم الذين ينتسبون للإسلام وهم أعداء له: إن الله ـ سبحانه ـ حكيم في شرعه وقدره، فلا يأمر المؤمنين بشيء أو ينهاهم عنه إلا لحكمة بالغة، ورحمة واسعة، سواءاً أدركوا سر ذلك أم جهلوه.

ومن ذلك شرعه في جعل حظ الذكر كحظ الأنثيين، والحكمة في ذلك أن التفاوت يقتضي تفاوتاً في الأرض، فالذكر مسؤوليته المادية أوسع وأعباؤه أثقل فهو القوّام على الأسرة والمطالب بالإنفاق على أفرادها.

في حين أن المرأة قد كرّمها الإسلام فلم يكلفها حتى بالإنفاق على نفسها وأوجب ذلك على أصولها وفروعها إذا كانت غير متزوجة أما إذا تزوجت فنفقتها هي وأولادها على زوجها سواء كانت موسرة أم معسرة، وأيضاً قرر لها نصيباً في الميراث تأخذه بعزة دون منة من أحد فورثها ابنة وزوجة وأختاً وأماً.

إذاً فليس هناك محاباة ولا ظلم كما يتشدق به أعداء الإسلام بل هو توازن وعدالة في المجتمع المسلم.

وبعد: فإن هذه القواعد الشاملة تكفل توزيع الثروات بين

الناس، وتؤدي إلىٰ تقليل الفروق المالية بينهم فلا تلبث الثروة الكبيرة أن تتحول بعد بضعة أجيال إلىٰ ملكيات متعددة، وأيضاً تلبِّي في نفس الإنسان المسلم دوافع الفطرة ورغبتها في أن تمتد آثار الخير إلىٰ ذريته.

ولأهمية تلك القواعد ولحرص الإسلام علىٰ تحقيق الهدف منها فقد حرَّم كل إجراء يؤدي إلىٰ الإخلال بها، وتوعد مخالفيها بالعذاب المهين في الآخرة فقال ـ جل شأنه ـ بعد أن بين قواعد الميراث وما يتعلق بها من أنصبة أصحاب الفروض وكذا بعض العصابات:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء] فهذه الآية تقرر حكماً شرعياً جاء به القرآن والسنة النبوية المطهرة ألا وهو أن نظام الميراث نظام إجباري لابد من الالتزام بقواعده فلا يستطيع المورث ولا غيرهما التلاعب بها؛ لأن الله هو الذي تولىٰ بيانها وبيان ما يستحقه كل وارث وحدد الأنصبة والمراتب، ولم يترك ذلك لبشر ولو كان النبي ﷺ فلم يترك القرآن للسنة من بيان الميراث إلا بالقدر القليل الذي لا يعدو أن يكون تفريعاً وبياناً لمجمل القرآن.

السرقة جريمة خطيرة لا تليق بمجتمع مسلم

البحث في السرقة يتضمن ثلاثة جوانب، وهي: التعريف بالسرقة وحكم الإسلام فيها، وجريمتها وآثارها السيئة على الفرد والمجتمع ثم سرقة لا بينة عليها ولا حد فيها. وفيما يأتي تفصيل لهذه الجوانب:

أولاً: التعريف بالسرقة وحكم الإسلام فيها:

السرقة في اللغة: هي أخذ من الغير على سبيل الخفية، ومنه استرق السمع إذا اسمّع مستخفياً. جاء في القاموس المحيط (سرق منه الشيء يسرق سرقاً.. واسترقه جاء مستتراً إلى حرز فأخذ مالاً لغيره.. والاسم السرقة.. والتسريق النسبة إلى السرقة.. وهو يسارق النظر إليه يطلب غفلة لينظر إليه). وقال صاحب تاج العروس: (والسرقة لغة: أخذ المال خفيفة، يقال: سرق منه الشيء يسرق سرقاً وسرقة). وقال الراغب: (السرقة أخذ ما ليس له أخذه في خفاء وصار ذلك في الشرع لتناول الشيء من موضع مخصوص وقدر مخصوص، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة] وقال: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف] وقال: ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر].

والسرق والسرقة واحد وهو الحرير والسرقة في اصطلاح الفقهاء قد لوحظ فيها المعنىٰ اللغوي مع زيادة قيود شرعية تترتب عليها الأحكام، وتنبني عليها العقوبة، وهذه القيود تختلف فيها أنظار الفقهاء وإن كانت تتفق معظمها من ناحية الشروط، وسنختار التعريف الشامل لها، وهو:

(أخذ الملتزم نصباً من حرز مثله من مال معصوم لا شبهة فيه علىٰ وجه الاختفاء).

السرقة الصغرىٰ: وهي أخذ مال الغير خفية وقد سبق تعريفها، ولا يشترط تقييدها بالصغرىٰ بل هي المرادة عند الاطلاق.

السرقة الكبرىٰ: وهي أخذ المال علىٰ سبيل المغالبة، وتسمىٰ الحرابة أو قطع الطريق، وتسميتها سرقة باعتبار أن المحارب أخذ المال خفية عن الإمام الذي عليه حفظ الطريق، كما أنه أخذه ممن إليه حفظ المكان المأخوذ منه هو المالك أو من يقوم مقامه، أما تسميتها كبرىٰ فلأن ضررها عام علىٰ المسلمين بطريق عليهم، فيزول الأمن وينتشر الإرهاب والفزع بخلاف السرقة الصغرىٰ فإن ضررها خاص بالهلاك. ولهذا فإن جزاء الحرابة أعظم من جزاء السرقة، هذا ولا خلاف بين العلماء أن السرقة بنوعيها في مقدمة الكبائر المنهي عنها في التشريع الإسلامي، وقد ثبت ذلك بالأدلة القاطعة في كتاب الله وسنة نبيه المصطفىٰ ﷺ وإجماع المسلمين. أما دليل تحريمها وعقوبة مرتكبيها فقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) ﴾ [المائدة] وقوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾ [المائدة] وقد روىٰ أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : **«لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»** .

وقد نفذ رسولنا المصطفىٰ ﷺ أمر الله عملياً ، وأمر بقطع يد السارق وهذا ما فعله الخفاء الراشدون بعده : (فكان أول سارق قطع يده رسول الله ﷺ من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الأسد من بني مخزوم ، وقطع أبو بكر اليد اليمنىٰ للذي سرق العقد ، وقطع عمر يد ابن سمرة أخي عبد الرحمن بن سمرة ولاخلاف فيه) .

أما المحارب قد وضعت له الشريعة عقوبة السرقة بنوعيها ، فلقد صان بذلك كرامة الإنسان ، وجعل الاعتداء علىٰ النفس أو المال أو العرض جريمة خطيرة تستوجب أشد أنواع العقوبات حتىٰ لا يعيث المجرمون فساداً ، وهذه العقوبة تعد بحق رادعة وزاجرة تقتلع الشر من جذوره ، وتطهر المجتمع من الجرائم والمفاسد ، ليعيش الناس في أمن وطمأنينة واستقرار ، ولم يكن الإسلام قاسياً بتشريع هذه العقوبة كما يدعي أعداء الإسلام ، ويستعظمون قتل القاتل أوتقطع

يد السارق، ولم يكتفوا بذلك بل قالوا: إن هؤلاء المجرمين مصابون بمرض نفسي وينبغي أن يحظوا بعطف المجتمع، وأن تلك العقوبات الصارمة لا تليق بمجتمع متحضر.

وكلامهم هذا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب والمكر والدسيسة للإسلام وتشريعاته.

نعم إن الإسلام شرع عقوبة قطع يد السارق، تلك اليد الخائنة إنما هي عضو أثل تأصل فيها الداء، وليس من المصلحة للفرد والمجتمع أن نتركها حتىٰ يسري المرض إلىٰ أنحاء الجسم، ولكن من الرحمة أن نبترها ليسلم سائر البدن، ويد واحدة تقطع كفيلة بردع المجرمين وكف عدوانهم، ونشر الأمن والطمأنينة في المجتمع فأين قوانين هؤلاء من تشريع الحكيم العليم؟!.

ولكي تتحقق حكمة التشريع عملياً ونرىٰ ثمارها ونتائجها في المجتمع الإسلامي فإن من الواجب علىٰ ولي الأمر أن ينفذ حدود الله دون هوادة ولاتسامح فلا يراعىٰ قريباً ولا يظلم غريباً ولا يجامل أحداً علىٰ حساب دين الله، ولا يسمح لأحد أياً كان شأنه أن يتدخل لمنع الحد أو تغييره أو يحول دون تنفيذه أو إقامته علىٰ مستحقه بعد ثبوته، وعليه أن يكون حازماً قوياً في إقامة حدود الله، وأن يقصد من ذلك طاعة الله أولاً ثم صلاح الرعية والنهي عن المنكرات بجلب المنفعة لهم ودفع المضرة عنهم.

ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة، فقد أقام حد السرقة على امرأة مخزومية من الشرفاء ولم يقبل شفاعة أحب الناس إليه، فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن قريشاً ـ أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبّ رسول الله ﷺ، فكلم رسول الله ﷺ فقال: **«أتشفع في حد من حدود الله؟»** ثم قام فخطب فقال: **«يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه، الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها..»** قالت عائشة: فحسنت توبتها وتزوجت وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

ثانياً: جريمة السرقة و آثارها السيئة على الفرد والمجتمع:

إن جريمة السرقة معول هدم للقيم التي جاء بها الإسلام ودعا إليها الإنسان كما أنها تخل بالحماية المقدسة وتتنافى مع الحصانة التي جاء بها التشريع السماوي منذ بدء الخليقة وحتى شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين، تلك الحماية التي جعلت للمؤمن حرمة في نفسه وماله وعرضه، فلقد كرم الله الإنسان على سائر المخلوقات، ووضع له التشريعات العادلة واحترم شعوره ورغباته ومنها حب التملك قال ـ جل شأنه ـ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء].

أيضاً فقد أحاطه بقيم وفضائل عديدة، منها الأمانة التي نادت بها الشرائع السماوية وأكدها الإسلام في نصوص كثيرة من القرآن والسنة.

لكن ذلك السارق المجرم قد خرج عن تلك الحماية الإلهية وارتكب جريمة اجتماعية وخيمة العواقب يرفضها الدين والعقل، إذ أن التعدي كونه مذموماً ورذيلة من الرذائل المحتقرة، وتعدياً على أموال الناس التي بها معاشهم أشد، ولهذا فقد وضعت لها الشريعة الخاتمة عقوبة رادعة حماية للثروات، واحتراماً للملكيتها وقطعاً لأطماع الطامعين، والتنفير من جرائم الأموال.

هذا ويمتاز الإسلام من بين الشرائع السماوية والقوانين الوضعية بأنه حمى المال واهتم به اهتماماً شديداً حتى جعله شقيق الروح وأنه يساويها في الحرمة وقد احترمها كونه عصب الحياة ووسيلة للتملك وقضاء الحاجات، واحترام ملكية الأفراد له وجعل حقهم فيه مقدساً، لا يحل لأحد أن يتعدى عليه بأي وجه ولهذا حرم السرقة بنوعيها تلك الجريمة التي عم خطرها وامتدت آثارها الضارة على الفرد والمجتمع الإسلامي، ويمكننا أن نبين تلك الآثار السيئة الدنيوية والأخروية فيما يأتي:

١ ـ تأصل الإجرام في النفس، فقد يرتكب هذا السارق جريمة القتل لتحقيق مآربه والوصول إلى ما يصبو إليه من أموال؛ لأن المعاصي

تضعف روح الفضيلة في النفوس، وتميت الضمير الحي، وتنبت الشر في القلوب بل وتقضي على الكرامة التي خص بها الإنسان وتميز على كثير من المخلوقات، وحين تتأصل هذه الرذيلة في مجتمع ما ويعم بلاؤها فيه فإنه يستتبع ذلك ضعف الوازع الديني في مقاومة الفساد والاستسلام للشهوات والغرائز التي تحول بين الفرد وبين التفكير في سوء العاقبة والخوف من العقاب الأخروي وما أعد للمجرمين من عذاب أليم يضاف إلى ذلك الختم على القلوب بحيث لا يخرج ما فيها من ظلمة ولا يدخل إليها بصيص من نور قال ـ جل شأنه ـ : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين] وروي أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكر الله ـ عز وجل ـ في القرآن»** : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ .

٢ ـ فقد عضو حساس غال من جسم الإنسان كان من الأجدر استثماره في عمل شريف وكسب حلال بالإضافة إلى الخزي والعار والمذلة وانتزاع الثقة منه وعدم قبول شهادته كل هذه مصائب دنيوية حلت بهؤلاء المفسدين بالأرض نتيجة حتمية لأفعالهم السيئة التي جنوا بها على أنفسهم قال ـ جل شأنه ـ : ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١١٧] وقال ـ سبحانه ـ : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ فالجزاء

من جنس العمل وعقوبة القطع مكافئة ومساوية للجريمة بكل آثارها الناتجة عنها، فهذه اليد التي ارتكبت أمراً محرماً وكبيرة من الكبائر وجريمة من أبشع الجرائم وامتدت إلىٰ أموال الناس ناسب أن تقطع عقوبة من الله علىٰ هذا الفعل السيىء الذي لايرض به الشرع ولايقبله العقل السليم.

سرقة لابينة عليها ولا حد فيها

تناولنا في التعريف بالسرقة وحكم الإسلام فيها وآثارها علىٰ الفرد والمجتمع وتتميماً للفائدة نلقي الضوء علىٰ وسائل أخرىٰ محرمة في اكتساب المال تتصل ببعض الوسائل المحرمة التي سبق ذكرها كالسرقة وفي بيان ذلك نقول:

لقد حدد الإسلام للمسلم الطرق السليمة لكسب المال واستثماره وحظر عليه ما وراء ذلك كالربا والسرقة والرشوة وابتزاز الناس وأكل أموالهم بالباطل وهذا باب واسع يدخل في شموله أمور كثيرة لا نستطيع حصرها؛ لأن كل شيء يدخل علىٰ الإنسان بشكل غير مشروع هو من أكل أموال الناس بالباطل فقد روىٰ أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«يأتي علىٰ الناس زمان، لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام»**.

فقد حرم تطفيف الكيل والميزان وتوعد مرتكبيه بعذاب شديد يقول سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا

كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) ﴾ [المطففين] .

ويقص علينا القرآن قصة أصحاب الأيكة الذين اشتهروا بهذا الفعل وتمادوا في ذلك، فأرسل الله إليهم شعيباً لهدايتهم ولكنهم أصروا ولم ينتهو فأهلكهم الله بذنوبهم في الدنيا وأعد لهم في الآخرة عذاباً أليماً قال تعالىٰ: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) ﴾ [الشعراء] .

ويعتبر غش المبيعات وإخفاء عيوبها من الأمور المنهي عنها وفي هذا قد روىٰ أبو هريرة ـ أن النبي ﷺ قال: **«من غشنا فليس منا»** وعن حكيم بن حزم ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»** فالغش فيه إضرار بالآخرين، ورفع للثقة من صدر الناس فضلاً عن أن ثمرته هي الحصول علىٰ كسب بلا جهد مشروع، وقد ثبت بالسنة تحريم بيوع الغرر، وأفرد لها الفقهاء دراسات مستقلة.

والاحتكار أيضاً من الوجوه المحرمة في الشرع: لأنها وسيلة

استغلالية للتحكم في أسعار الضروريات وفيها إهدار لحرية التجارة والصناعة، فالمحتكر لا يسمح لسواه أن يجتلب ما يجتلبه أو أن يُصنع ما يصنعه، وبذلك فهو يكلف الناس عنتاً، ويحملهم مشقة، ويضارهم في حياتهم، ويقفل باب الفرص أمام الآخرين ليرتزقوا كما ارتزق. وقد بلغ من حرص الإسلام على منع هذه الوسيلة أن جعل الاحتكار مبعداً لصاحبه عن دائرة الدين فقد روى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: **«من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله ويريء الله عنه»** فهذا المحتكر قد أضر الجماعة وأشاع فيها الخوف والقلق على مصدر قوتها ليحصل به على كسب حرام، يزيد به ماله، ويوسع به دائرة طمعه على حساب الآخرين فقد روى معمر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا يحتكر إلا خاطيء»** فعلى المسلم أن يتحرى الحلال في كسبه، ويبعد عن الحرام، ويتقي الشبهات، ويمتثل أوامر الله، ويجتنب نواهيه، وليعلم أن حقوق العباد شأنها خطير لا تكفرها العبادات ولا الأعمال الصالحة، فالعمل الصالح لا بد له من طيب المأكل والمشرب شرطاً أساسياً لقبول العبادة بشتى أنواعها فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين** فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثم **«ذكر الرجل**

يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومعطمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟» إن آكل الحرام قد عرض نفسه وغيره للظلم بتعديه على حقوق الآخرين، وكفى بالظلم بشاعة وقبحاً أن عاقبته في الدنيا المحق والدمار، وأن صاحبه ملعون في الدنيا والآخرة، وأن مآله في الآخرة الظلام السرمدي قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢] وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢)﴾ [إبراهيم].

وروي عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: **«هل تدرون من المفلس؟»** قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع قال: **«إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم عرض هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، فيقعد، فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»** وليعلم المسلم أنه مسئول يوم القيامة عن مصدر أمواله وموردها أمن حلال اكتسبها أم من حرام؟ وفيم أنفقها؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤)﴾ [الصافات].

وقال ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: **«لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا**

عمل فيما علم؟».

وبعد، إذا لم يرتدع ضعاف النفوس واستمروا في التهافت على جمع الأموال بالوسائل المحرمة ـ السابق ذكرها ـ فإن من حق الدولة المسلمة ممثلة في حكامها وعلمائها أن تتدخل في النشاط الاقتصادي الذي يباشره الأفراد، وذلك بنزع أو مصادرة الملكية الخاصة إذا انحرفوا بها عن طريقها الصحيح ومنع الأعمال وإلغاء العقود الباطلة، لتحفظ بذلك التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع، فتمنع الظلم وتحقق العدالة للجميع.

ولابد أن نسجل سبق الإسلام إلى إقرار هذه القاعدة ووضع مبادئ تشريعية وإلزامية، لذلك استطاع أن يجمع بين حرية الفرد ومصلحة الجماعة ويحقق بينهما التوازن الذي اختل في ظل النظامين اللذين يسودان عالم اليوم فمال كل منهما وتطرف في أحد الجانبين حتى طغى على الجانب الآخر. هذا ويعتبر تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية من القواعد الهامة في الاقتصاد الإسلامي التي تمنحه القوة والقدرة على الاستيعاب والشمول وهو مستمد من جملة نصوص من القرآن أو السنة منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩] وقوله: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)**﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقد أرسىٰ رسول الله ﷺ هذا المبدأ من الناحية التطبيقية حينما مر علىٰ ميدة طعام فأدخل يده فيها فوجدت أصابعه بللاً فقال: **«ما هذا يا صاحب الطعام؟»** فقال: أصابته السماء يا رسول الله ﷺ قال: **«أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشنا فليس منا»**. وأيضاً ما فعله مع ابن اللتبية حينما استعمله علىٰ الصدقات.

وقد انبثق من ذلك نظام الحسبة، وهو أحد نظم الرقابة المالية المكلفة بمراقبة الأسواق في البلاد الإسلامية والتأكد من شرعية النشاط الاقتصادي، فإن من حق ولي الحسبة أن يتدخل لوضع الأمور في نصابها وأن يضرب علىٰ أيدي العابثين بيد من حديد حماية للمصلحة العامة وحفاظاً علىٰ حقوق الناس وله في ذلك وسائل تتدرج من النصح والإرشاد إلىٰ الاستعانة بالسلاح والأعوان إذا دعت الضرورة لذلك.

في فضل العلم وآداب طلبه

لقد اهتم الإسلام بالعلم وأولاه عناية كبيرة والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١] فالله ـ تعالى ـ يرفع أهل العلم والإيمان بحسب ما خصهم به من العلم والإيمان فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجاته ثم رفعه بعلمه درجات ـ ولهذا نجد أن أهل العلم محل الثناء كلما ذكروا أثنى الناس عليهم، وهذا رفع لهم في الدنيا، أما في الآخرة فهم يرتفعون درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله والعمل بما عملوا.

وحول هذه الآية الكريمة لناوقفات في بيان فضل العلم والأسباب المعينة على طلب العلم ثم آداب طلب العلم.

الوقفة الأولى: الأدلة على فضل العلم:

لقد مدح سبحانه في الكتاب والسنة العلم وأهله، وحث عباده على العلم والتزود منه، فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة ومن أفضل وأجل العبادات التطوعية، لأنه نوع من الجهاد في سبيل الله، والأحاديث في ذلك كثيرة جداً منها قوله ﷺ: **«ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»** [رواه مسلم] عن أبي أمامة الباهلي قال ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ: **«فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»** ثم

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»** [أخرجه الترمذي وصححه الألباني] وقال: **«وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»** [رواه الترمذي وصححه الألباني].

ومن شرف العلم ما يلي:

* أنه صفة من صفات الله واسم من أسمائه قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٤٠].

* العلم أبرز ما أمتاز به آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾**﴾ [البقرة].

* أول ما نزل من القرآن كان إشادة بالعلم ووسائله من القراءة والكتابة قال ـ تعالى ـ: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾**﴾ [العلق].

* أن العلم يأتي في القرآن واصفاً أكرم الخلق من الملائكة والأنبياء والصالحين.

الوقفة الثانية: الأسباب المعينة على طلب العلم:

أولاً: التقوى: وهي وصية الله للأولين والآخرين من عباده قال ـ

تعالىٰ ـ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١)﴾ [النساء].

فعلىٰ طالب العلم أن يتقي الله، ويقلع عن الذنوب والمعاصي، ويقبل علىٰ الله بالكلية، فهو في سبيل العلم ولا سبيل إليه غيره، يقول ابن القيم: ـ رحمه الله ـ: (وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا ما لا يعلمه إلا الله فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفيء ذلك النور، لما جلس الشافعي بين يدي مالك أعجبه مارأىٰ من وقور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه فقال: إني أرىٰ قد ألقي علىٰ قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية).

ثانياً: المثابرة والاستمرار في طلب العلم: لا بد لطالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه وأن يحتفظ به بعد تحصيله، فالعلم لاينال بالراحة بل علىٰ المتعلم أن يسلك جميع الطرق الموصلة للمعلم وهو مثاب علىٰ ذلك.

ثالثاً: الحفظ: يجب علىٰ طالب العلم أن يحرص علىٰ ضبط ما تعلمه وذلك إما بحفظه في صدره أو كتابته وهو الأولىٰ؛ لأن الإنسان معروف بأنه عرضة للنسيان، فإذا لم يحرص علىٰ المراجعة وتكرار ما تعلمه فإن ذلك يضيع منه وينساه.

رابعاً: ملازمة العلماء: يجب علىٰ طالب العلم أن يستعين بالله

ثم بأهل العلم ويستعين بما كتبوا في كتبهم؛ لأن الاقتصار على مجرد القراءة والمطالعة يحتاج إلى وقت طويل، بخلاف من جلس إلى عالم يبين له، ويشرح له وينير له الطريق.

الوقفة الثالثة: آداب طلب العلم:

أولاً: إخلاص النية والحذر من الرياء: فإن على المتعلم أن يقوم بتطهير نفسه عن الأخلاق الرذيلة والأوصاف المذمومة، فإصلاح القلب شيء ضروري لمن يريد أن يفيد من علمه فقد قال ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»** [أخرجه البخاري ومسلم] فيجب التحلي بدوام المراقبة لله ـ تعالى ـ في السر والعلن وأن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر. فثمرات العلم لا تحصل إلا لمن طهر قلبه من الرذائل، فالعلم ليس بكثرة الرواية والحفظ والفهم وإنما بما يعود عليه توصيله إلى الله ـ تعالى ـ والخشية منه، ومن نشر الفائدة والخير على الناس، قال الشافعي: (وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إليَّ حرف منه) وقال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: (ياقوم، أريدوا بعلمكم الله فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتوضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم لم أقم حتى افتضح).

ثانياً: حسن الاستماع: لابد لطالب العلم أن يتصف بحسن الاستماع والصمت الكثير والتسليم والصبر وعدم تكرار شيء فهمه

عنده، وعدم الإكثار من الأسئلة التي قد فهم جوابها، فقد قال الحسن بن علي - رضي الله عنهما - لابنه مؤدباً إياه: (يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كماتتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك).

وقد أشارت قصة الخضر وموسى - عليهما السلام - إلى أن التعلم لا يتحقق إلا بالصبر والتسليم والسكون حيث قال لموسى - عليه السلام -: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف] ثم شرط عليه السكوت فقال: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف].

ثالثاً: التواضع مع المعلم: لايدرك العلم إلا بالتواضع؛ فعلى طالب العلم أن يكون متواضعاً لا سيما مع شيخه أو استاذه، فيكون مؤدباً وقوراً معه لا يتعدى حرمة مجلسه، وينظر إليه نظرة احترام وإجلال، وأن يلقي إليه زمام أمر التعليم كله ويذعن لنصيحته، ويقوم بخدمته بقدر ما يستطيع فقد قال الشعبي: (صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها، فجاء عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فأخذ بركابها فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: هكذا نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت يده وقال: وهكذا نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ وكذلك تواضع طالب العلم مع أقرانه فلا يستعلي عليهم بعلمه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ

هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

رابعاً: الصبر والحلم والأمانة: لابد لطالب العلم أن يكون صبوراً عالي الهمة فلا يرضىٰ باليسير من العلم مع إمكان الكثير، وألا يؤخر واجبات يومه لغده ولا يغفل عن استحضار الدروس ولا يضيع وقته، وقد حكىٰ لنا حبر الأمة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- كيف وصل إلىٰ هذه المرتبة بعد توفيق الله، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ وضع يده علىٰ كتفي أو منكبي (شك سعيد) ثم قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» [أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وهو صحيح] قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: يا عجباً لك يا ابن عباس أرىٰ الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال ابن عباس فتركت ذاك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ. فإنه كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه وهو قائل أي -نائم في نصف النهار- فأتوسد ردائي علىٰ بابه يشقي الريح علي من التراب فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك هلاَّ أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا أنا أحق أن آتيك. قال: فأسأله عن الحديث، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: فعاش الرجل الأنصاري حتىٰ رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني فقال هذا الفتىٰ كان أعقل مني).

خامساً: الحرص والمواظبة وعدم التسويف: فيجب المواظبة علىٰ التعليم في جميع الأوقات ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً، وليحذر أمر

التسويف على النفس، فإن ذلك مضيعة للعلم بل عليه البدار والمسارعة لطلب العلم مع الأخذ بالاعتبار أن يأخذ من وقته للراحة والترفيه عن نفسه.

سادساً: عليه اختيار الأوقات والأماكن للحفظ والدروس: قال الخطيب البغدادي: (أجود أوقات الحفظ الأسحار، ثم نصف النهار، ثم الغداة، وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع، وأجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعيد عن الملهيات.

سابعاً: لابد لطالب العلم أن يصون نفسه عن التلهي بغير الدرس، ويحفظ يديه عن العبث والتشبيك بها وعينيه عن كثرة التقليب هنا وهناك وأن يتقي المزاح وكثرة الضحك، قال الشافعي: (كنت أصفح الورقة بين يدي مالك - رحمه الله - صفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها) وكذلك الحرص على وقت الدرس مع التزام آداب المجالس من التفسح والهدوء.

ثامناً: على طالب العلم أن يحترم العلماء ويقدرهم، ولا يتتبع أخطاءهم وينظر إليهم بعين الاحترام والتوقير فإن هذا أقرب إلى الانتفاع بهم وبعلمهم كما فعل موسى - عليه السلام - مع الخضر، وقد كان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني.

* * *

الخاتمة

وبعد فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله الحمد لله حمداً كثيراً طيباً فيه .

الحمد لله الذي يسر لي السبل لإكمال البحث وهو جهد متواضع أسأله سبحانه أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتجاوز عني فيما وقعت فيه من أخطاء دون قصد ، وأن يرزقنا العمل بما علمنا وأن يتقبل صالح أعمالنا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله والصحب الكرام ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتورة / لولوه بنت عبد الله عبد العزيز القضيبي

* * *

المراجع

١ ـ أضواء البيان .	الشنقيطي
٢ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .	محمد أبو شهبة
٣ ـ تفسير القرآن العظيم .	ابن كثير
٤ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .	السعدي
٥ ـ تفسير القرطبي .	القرطبي
٦ ـ تفسير سورة الكهف .	الشيخ ابن عثيمين
٧ ـ التهذيب .	الأزهري
٨ ـ التعريفات .	الجرجاني
٩ ـ جامع البيان .	ابن جرير الطبري
١٠ ـ سنن الترمذي .	الترمذي
١١ ـ صحيح مسلم .	للإمام مسلم
١٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري .	ابن حجر العسقلاني
١٣ ـ فتح القدير .	الشوكاني
١٤ ـ في ظلال القرآن .	سيد قطب
١٥ ـ فوائد مستنبطة من قصة يوسف .	السعدي
١٦ ـ كتاب العلم .	الشيخ ابن عثيمين
١٧ ـ لسان العرب .	ابن منظور

١٨ ـ معالم التنزيل .	للإمام البغوي
١٩ ـ مختار الصحاح .	الرازي
٢٠ ـ المفردات في غريب الحديث .	الراغب الأصفهاني
٢١ ـ مباحث في علوم القرآن .	القطان
٢٢ ـ المصباح المنير .	
٢٣ ـ نضرة النعيم .	
٢٤ ـ نزهة الأسماع في مسألة الغناء .	ابن رجب الحنبلي
٢٥ ـ هذه أخلاقنا .	
٢٦ ـ وقفات مع سورة التكاثر .	عبد الرحمن آل عثمان

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
تقريظ	٥
القوامة أمانة	٧
بين القانتات والناشزات	١٢
مع داود السراد ـ عليه السلام ـ	٢٠
الصدقة شرط قبولها الإخلاص	٢٥
أيها الإنسان ما أجهلك	٣١
وقفات شرعية لحفظ عورات البيوت	٣٨
وقفات شرعية مع سورة التكاثر	٤٣
السمع أمانة عظمىٰ ومنة كبرىٰ	٤٩
جمالك في حيائك	٥٩
قوتك في صبرك وتضرع إلىٰ الله	٧٠
تقوىٰ الله زاد المتميزة في طريقها إلىٰ الله	٧٦
الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة	٨٤
الثقة في وعد الله ونصره لأوليائه	٩٣
يوسف ـ عليه السلام ـ مع امرأة العزيز عفاف علىٰ مدىٰ الزمن	٩٩

وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ١١٢
السرقة جريمة خطيرة لا تليق بمجتمع مسلم ١٢٠
في فضل العلم وآداب طلبه ١٣٣
الخاتمة ١٤٠
المراجع ١٤١
الفهرس ١٤٣

* * *